المعجزات والكرامات

وأنواع خوارق العادات

ومنافعها ومضارها

تأليف

شيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

تحقيق ودراسة

أحمد العيسوي



دار الصحابة للتراث بطنطا

المعجزات والكرامات

وأنواع خوارق العادات

ومنافعها ومضارها

تأليف

شيخ الإسلام

تقي الدين ابن تيمية

حققه وعلق عليه

أبو عبد الله

أحمد بن أحمد العيسوى

دار الصحابة للتراث بطنطا

كتابٌ قد حوى دُرَرًا بعينِ الحُسنِ ملحوظة
لهذا قلتُ تنبيهًا

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر - والتحقيق - والتوزيع
شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٢١٥٨٧ ص.ب ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن شئت أن تحظَى بِجنَّة ربِّنا   وتفوزَ بالفضلِ الكبيرِ الخالدِ
فانهَضْ لفعل الخير واطرُق بابَهُ   تجِدِ الإعانةَ من إلهٍ ماجدِ
واعكُفْ على هذا الكتابِ فإنه   جَمَع الفضائلَ جَمْعَ فَذٍّ ناقدِ
يُهدى إليك كلامَ أفضلِ مُرْسَل   فيما يُقرّبُ من رضاءِ الواحدِ
فَأَدِمْ قراءتَهُ بقلبٍ خالصٍ   وادعُ لكاتِبِه وكلِّ مُساعدِ

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة المحقق ٧

مقدمة الكتاب ٩

قاعدة شريفة فى المعجزات والكرامات ٩

خوارق من باب العلم ١١

خوارق من باب القدرة ١٢

المعجزات والخوارق التي جمعت لنبينا ﷺ ١٣

أنواع الخوارق بالقدرة والتأثير الرباني ١٥

معجزات لبعض الأنبياء ٢١

خوارق لغير الأنبياء ٢٢

فصل (الخارق يكون نعمة من الله ، ويكون سببا للعذاب) ٢٤

أنواع الخوارق (محمودة ومذمومة ومباحة) ٢٥

اطلب الاستقامة لا الكرامة ٢٥

فصل (كلمات الله الكونية ، وكلماته الدينية) ٢٧

كلمات الله قدرية كونية ومنها الخوارق وشرعية وأقسام الناس فيهما ٢٧

الخوارق العلمية والعملية والدينية ٢٨

ما يكون من الخوارق كمالاً وما يكون نقصاً ٣٠

الكشف والتأثير الروحاني قد يكونان مفاسد في الدين والدنيا ٣١

المنافع الدينية والدنيوية بأسبابهما أعم وأعظم منها بالخوارق ٣٢

أسباب الكشف والتأثير الخارق للعادة ومضارهما ٣٤

ارتباط الخوارق بالدين أو عدمه وموقف كل منهما ٣٧

الخوارق فى نفعها بالدين وله ، وضررهما فى سواه كالرياسة والمال ٣٩

فصل (طرق العلم بالكائنات وكشفهما ، والعلم بالدين بقسميه الخبر والإنشاء) ٤٠

المتفق عليه والمختلف فيه من طرق العلم بالدين ٤١

الدلائل العقلية والنقلية والكشفية وغلو الفرق في كل منها ٤٣

الموضوع	الصفحة
أدلة الشرع المجمع عليها والمختلف فيها وأقسامها	٤٣
الخلاف في السنن المتلقاة بالقبول وفى الإجماع والقياس	٤٥
الخلاف فى دلالة المصالح المرسلة	٤٦
تحقيق القول فى مسألة المصالح والاستحسان ومافى معناهما	٤٧
ما اتفق عليه واختلف فيه من الحسن والقبح ، والنفع والضر	٤٩
المنفعة المطلقة والراجحة	٥٠
العبادات الصحيحة والباطلة	٥١
الكائنات تجمع الحق المقصود والحق الموجود	٥٢
الاختلاف فى أفعال الله وأفعال العباد	٥٣
مقدمات مسلمات لتحقيق مسألة الحسن والقبح	٥٤
الفرق بين أمر الرب ونهيه لعباده وأمرهم ونهيهم لعبيدهم وخدمهم	٥٦
ما تقتضيه المحبة والرض من الملائمة وضدهما من المنافرة	٥٧
الجواب عما ذكر من لزوم المحذور	٥٨
لا يقال إنه تعالى غني عن نفسه أو إن احتياجه إلى نفسه نقص	٥٩
نصوص الكتاب والسنة مشتملة على تقديس الله وإثبات كل كمال له	٦٠
المعطلة – كذبوا بحق كثير جاء به الرسل	٦١
مراجع التحقيق	٦٣

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئآت أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾.

أما بعد:-

فإن كثيراً من ذوي الأهواء من القدامى والعصريين قد طعن في دلائل النبوة وفي كرامات الأولياء لأنها قد تظهر بعض الخوارق على أيدي السحرة والمشعوذين ومنهم من أساء فهمها فأطروا الأنبياء والصالحين بما لهم من معجزات وكرامات.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الرسالة على صغر حجمها فقد بين فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الفوارق بين دلائل النبوة وبين ما يحصل من الخوارق للسحرة والمشعوذين وبين أن الكرامة إنما تحصل للولي بسبب اتباعه للنبي واقتفاء أثره وقبول هداه ولقد أحسن من قال:

إذا رأيت شخصاً قد يطير ... وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف على حدود الشرع ... فانه مستدرج وبدعي

ومن ثم فقد استخرت الله تعالى بتحقيق هذه الرسالة القيمة بعد تكليف من الأخ المكرم أبي حذيفة فخرجت الأحاديث من كتب السنة وحكمت عليها

بما تستحق من الصحة أو الضعف مسترشداً بالله تعالى ثم بأقوال أهل العلم وقد أكثرت من تخريج أحاديث المعجزات والكرامات التي أجملها ابن تيمية رحمه الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَيَّ عن بينه والله المستعان وعليه التكلان.

ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب الصحيح المسند من دلائل النبوة للشيخ مقبل بن هادي وكتاب النبوات لشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله.

وأسأل الله العظيم أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو عبد الله
أحمد بن أحمد العيسوي

أخي القاريء: أنت على موعد مع الطبعة الثانية بتحقيقها الجديد وقد راعينا فيها الدقة وتخريج الآيات وأبقينا تخريج الآيات والعناوين كما هي وكما تعلم أخي القاريء فهذه الرسالة ضمن كتاب: [مجموعة الرسائل والمسائل] التي جمعها الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله واعتنى بطبعها وإخراجها الشيخ محمد رشيد رضا.

أبو حذيفة إبراهيم بن محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، العارف الرباني ، المقذوف في قلبه النور القرآني ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه .

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضاه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا إله سواه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي اصطفاه واجتباه وهداه ، ﷺ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات

وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره – ويسمونها : الآيات – لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما ، فيجعل المعجزة للنبي ، والكرامة للولي . وجماعهما الأمر الخارق للعادة .[1]

فنقول : صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة : العلم والقدرة ،والغنى ،وإن شئت أن تقول : العلم والقدرة ، والقدرة إما على الفعل وهو التأثير ، وإما على الترك وهو

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات ص : ٥ :٨ ما معناه وللنظار طرق في التمييز بين المعجزة وبين غيرها وفي وجه دلالتها فمنهم من رأي أن كل ما يخرج عن الأمر المعتاد فانه معجزة وهو الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة وهذا يلتزم أن يكون كل من خرقت له العادة نبياً فقالت طائفة لا تخرق العادة إلا لنبي وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان وبكرامات الصالحين وهذه طريقة أكثر المعتزله وغيرهم كأبي محمد بن حزم وغيره وهؤلاء يقولون أن ما جرى لمريم وعند مولد الرسول فهو إرهاص =

الغنى ، والأول أجود . وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده ، فإنه الذي أحاط بكل شيء علمًا ، وهو على كل شيء قدير ، وهو غني عن العالمين . وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[1] وكذلك قال نوح عليه السلام . فهذا أول أولي العزم[2] ، وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض . وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم ، كلاهما يتبرأ من ذلك وهذا لأنهم

= أي توطئة وإعلام بمجيء الرسول فما خرقت الحقيقة إلا لنبي فيقال لهم وهكذا الأولياء إنما خرقت لهم لمتابعتهم الرسول .

وقالت طائفة بل كل هذا حق وخرق العادة جائز مطلقا لكن الفرق بين خرق العادة للنبي وغيره أن هذه تقترن بها دعوى النبوة وهو التحدي وقد يقولون أنه لا يمكن أحداً أن يعارضها بخلاف ذلك وهذا قول من اتبع جهماً على أصله في أفعال الرب من الجهمية وغيرهم ومع ذلك لم يأتوا بفرق معقول .

ومن الناس من فرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة مثل قولهم الكرامة يُخفيها صاحبها أو الكرامة لا يتحدى بها ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها كإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر وإظهار أبي مسلم لما ألقي في النار أنها صارت عليه برداً وسلاما [كما سيأتي] فيقال المراتب الثلاثة : آيات الأنبياء - ثم كرامات الصالحين - ثم خوارق الكفارة والفجرة كالسحرة والكهان وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين أما الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء فإنهم يقولون نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الأنبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين . كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول لا تدل على أن الولي معصوم ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله . انتهى مختصراً والله أعلم .

(١) سورة الأنعام الآية : ٥٠ .

(٢) أولو العزم من الرسل هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين وهذا أشهر الأقوال كما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره لسورة الأحقاف عند قوله تعالى ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ [٤/ ١٧٢] ثم قال قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب =

يطالبون الرسول ﷺ تارة بعلم الغيب كقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾[2] وتارة بالتأثير كقوله : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا – إلى قوله – قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ ؟[3] وتارة يعيبون عليه الحاجة والبشرية ، كقوله : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ﴾[4] فأمره أن يخبر أنه لا يعلم الغيب ، ولا يملك خزائن الله ، ولا هو ملك غني عن الأكل والمال ، إن هو إلا متبع لما أوحي إليه هو الدين ، وهو طاعة الله ، وعبادته علمًا وعملًا بالباطن والظاهر . وإنما تنال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه إياه ، ويقدر منه على ما أقدره الله عليه ، ويستغني عما أغناه الله عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة غالب الناس .

فما كان من الخوارق من باب العلم ، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره ، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومنامًا ، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيًا وإلهامًا ، أو إنزال علم ضروري ، أو فراسة صادق ، ويسمى كشفًا ومشاهدات ، ومكاشفات ومخاطبات . فالسماع مخاطبات ، والرؤية مشاهدات ، والعلم

= والشورى قلت الآية « ٧ من الأحزاب » ﴿ وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ .

والآية « ١٣ من الشورى » ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . . . ﴾ الآية .

(١) سورة يونس الآية : ٤٨ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٧ .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٩٠ : ٩٣ .

(٤) سورة الفرقان الآية : ٨ .

مكاشفة ، ويسمى ذلك كله كشفًا ومكاشفة ، أى كشف له عنه

وما كان من باب القدرة فهو التأثير ، وقد يكون همة وصدقًا ودعوة مجابة ، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال ، مثل هلاك عدوه بغير أثر منه كقوله[1] : « من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة – وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث المجرد[2] » ومثل تذليل النفوس له ومحبتها إياه ونحو ذلك . وكذلك ما كان من باب العلم والكشف قد يكشف لغيره من حاله بعض أمور ، كما قال النبي ﷺ في المبشرات : « هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له »[3] وكما قال النبي

---

(١) حديث « من عادى لي ولياً . . . فقد بارزني بالمحاربة » « حديث ضعيف بهذا اللفظ » لفظ المبارزة لم يرد في صحيح البخاري وإنما رواه الطبراني [٨/ ٢٦٤] رقم ٧٨٨٠ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وفيه عثمان بن أبي العاتكة قال الحافظ في التقريب صنفوه في روايته عن على بن يزيد الألهاني وهو يروى الحديث عنه وعلى بن يزيد قال البخاري منكر الحديث والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في الرقائق [١١/ ٣٤٨] ٦٥٠٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقد تكلم عليه الحافظ ابن حجر كلاما ينبغي أن يراجع [١١/ ٣٤٩] وكذا الحافظ ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم الحديث رقم (٣٨) فليراجع والله أعلم .

وعند ابن ماجه من حديث معاذ بن جبل [٢/ ١٣٢٠] رقم ٣٩٨٩ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن يسير الرياء شرك وإن من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة » وفي إسناده عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف .

(٢) حديث « إني لأثأر لأوليائي » ذكره ابن تيمية رحمه الله في كتاب الفرقان من مجموعة التوحيد ص : ٤٦٨ ولم يعزه لأحد .

(٣) حديث الرؤيا الصالحة حديث صحيح مسلم [١/ ٣٤٨] رقم ٢٠٨ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما والنسائي [٢/ ٢١٨] بلفظ يراها العبد الصالح وأبو داود رقم ٨٧٦ بلفظ يراها المسلم وابن ماجه رقم ٣٨٩٩ وأحمد [١/ ٢١٩] والدارمي [١/ ٣٠٤] وعند ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه رقم ٣٨٩٨ والحاكم [٢/ ٣٤٠] ، [٤/ ٣٩١] والبخاري مختصرا [١٢/ ٣٩١] رقم ٦٩٩٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ لم يبق من النبوة إلا المبشرات : قالوا وما المبشرات ؟ قال الرؤيا الصالحة – والله أعلم .

ﷺ : « أنتم شهداء الله في الأرض »[1] .

وكل واحد من الكشف والتأثير قد يكون قائمًا وقد لا يكون قائمًا به بل يكشف الله حاله ويصنع له من حيث لا يحتسب ، كما قال يوسف بن أسباط : « ما صدق الله عبد إلا صنع له » وقال أحمد بن حنبل : « لو وضع الصدق على جرح لبرأ » لكن من قام بغيره له من الكشف والتأثير فهو سببه أيضًا ، وإن كان خرق عادة في ذلك الغير ، فمعجزات الأنبياء وأعلامهم ودلائل نبوتهم تدخل في ذلك .

وقد جمع لنبينا ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق .

أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل إخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء

---

(١) حديث « أنتم شهداء الله في الأرض » حديث صحيح البخاري [٣/ ٢٢٨] رقم ١٣٦٧ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ومسلم [٢/ ٦٥٥] رقم ٦٠ وكررها ثلاثا والترمذي [٣/ ٣٧٣] رقم ١٠٥٨ وقال حديث حسن صحيح والنسائي [٤/ ٥٠] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وعند ابن ماجه [١/ ٤٧٨] رقم ١٤٩٢ وفيه إنكم بدل أنتم والإمام أحمد [٢/ ٢٦١] ، [٢/ ٤٩٩] وعنده أيضا [٣/ ١٨٦ ، ١٧٩ ، ١٩٧] من حديث أنس بلفظ أنتم وعند ابن ماجه من حديث أنس رضي الله عنه [١/ ٤٧٨] رقم ١٤٩١ لكن بلفظ والمؤمنون شهود الله في الأرض .

المتقدمين وأممهم ومخاطباته لهم وأحواله معهم ، وغير الأنبياء من الأولياء[1] وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أو بغيره من غير تعلم له منهم ، وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم . ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء ، تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر ، وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم ، وفي مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب وهو من حكمة إبقائهم بالجزية وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه .

فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من باب العلم الخارق ، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم ، وقتال الترك ، وألوف مؤلفة من الأخبار التي أخبر بها مذكور بعضها في كتب دلائل النبوة وسيرة الرسول وفضائله وكتب التفسير والحديث والمغازي ، مثل دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي وسيرة ابن إسحاق ، وكتب الأحاديث المسندة كمسند الإمام أحمد ،

---

[1] قال ابن تيمية رحمه الله في رسالة الفرقان من مجموعة التوحيد ص : ٤٦٨ : ٥٠٢ ما مختصره ﴿ أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يجب أن يعطى ومنعوا من يجب أن يمنع ﴾ وأصل الولاية المحبة والقرب .

ومن حين بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه فلا يكون وليا لله إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطنا وظاهراً ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله كما قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ الآية ٢٨ من آل عمران .

وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض ثم يتقرب بالنوافل فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله وكذلك من لا يصح إيمانه وعبادته وإن قرر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة وكذلك المجانين والأطفال .

وعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي الله .

وليس للأولياء شيء يتميزون به عن الناس في الأمور المباحات من الملبس والمشرب وما شابه وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما لا يغلط ولا يخطيء بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة والناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى . . . انتهى مختصراً والله أعلم .

والمدونة كصنحيح البخاري ، وغير ذلك مما هو مذكور أيضاً في كتب أهل الكلام والجدل كأعلام النبوة للقاضى عبد الجبار وللماوردي ، والرد على النصارى للقرطبي ، ومصنفات كثيرة جدا . وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وجد في كتب الأنبياء المتقدمين ، وهي في وقتنا هذا اثنتان وعشرون نبوة بأيدي اليهود والنصارى كالتوراة والإنجيل والزبور وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال وأرميا . وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأخبار والرهبان ، وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة ، وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما ، وكذلك المنامات وتعبيرها كمنام كسرى وتعبير الموبذان ، وكذا أخبار الأنبياء المتقدمين بما مضى وما عبر هو من إعلامهم .

أنواع الخوارق بالقدرة والتأثير الرباني[1] :

وأما القدرة والتأثير فإما أن يكون في العالم العلوي أو ما دونه ، وما دونه إما بسيط أو مركب ، والبسيط إما الجو وإما الأرض ، والمركب إما حيوان وإما نبات وإما معدن . والحيوان إما ناطق وإما بهيم ، فالعلوي كانشقاق القمر[2] ورد الشمس ليوشع بن نون ، وكذلك ردها لما فاتت عليًّا الصلاة والنبي ﷺ نائم في حجره — إن صح الحديث[3] — فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض . ومنهم من جعله

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) حديث انشقاق القمر «حديث صحيح» البخاري [٦/ ٧٣٠] رقم ٣٦٣٦ ، [٧/ ٢٢١] رقم ٣٨٦٩ ، ٣٨٧١ ومسلم [١٧/ ١٤٣] مع النووي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وعند البخاري أيضا [٦/ ٧٣٠] رقم ٣٦٣٧ ، [٧/ ٢٢١] رقم ٣٨٦٨ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه فأراهم انشقاق القمر وعند مسلم [١٧/ ١٤٥] وزاد فأراهم انشقاق القمر مرتين وعنده أيضا [٦/ ٧٣٠] رقم ٣٦٣٨ ، [٧/ ٢٢١] رقم ٣٨٧٠ ومسلم [١٧/ ١٤٥] مع النووي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

والإمام أحمد [٤/ ٨١] من حديث جبير بن مطعم وفيه سليمان بن كثير متكلم فيه لكن تابعه محمد بن فضيل بن غزوان كما عند ابن حبان [ص : ٥١٩] من الموارد وعند مسلم [١٧/ ١٤٤] مع النووي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال الحافظ ابن حجر في الفتح [٦/ ٧٣٠] وقد ورد انشقاق القمر من حديث علي وحذيفة أيضاً . =

....

(٣) حديث « رد الشمس ليوشع بن نون » «حديث صحيح» البخاري [٦/ ٢٥٤] رقم ٣١٢٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ غزا نبي من الأنبياء . . . الحديث ومسلم [٣/ ١٣٦٦] رقم ٣٢ . قلت وهذا النبي هو يُوشع بن نون كما صرح باسمه أبو هريرة رضي الله عنه كما في المسند للإمام أحمد [٢/ ٣٢٥] قال الحافظ في الفتح [٦/ ٢٥٥] وقد اشتهر حبس الشمس ليوشع حتى قال أبو تمام في قصيدته .

فوالله لا أدري أأحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

حديث أسماء بنت عميس « حديث ضعيف » قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية [٦/ ٩٣] ما مختصره وقد جمع أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الحسكاني طرق هذا الحديث وقال روى من طريق أسماء بنت عميس وعلى وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم ثم رواه من طريق عون بن محمد قال وهو ابن محمد ابن الحنفية عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتها أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر ثم أرسل علياً في حاجة فجاء وقد صلى رسول الله العصر فوضع رأسه في حجر علي ولم يحركه حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إن عبدك علياً احتبس على نبيه نفسه فرد عليه شرقها قالت أسماء فطلعت الشمس حتى رفعت على الجبال فقام عليّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس .

قال ابن كثير رحمه الله هذا الإسناد فيه من يجهل حاله فإن عوناً هذا وأمه لا يعرف أمرهما بعدالة وضبط يُقبل بسببها خبرهما فيما هو دون هذا المقام فكيف يثبت بخبرهما هذا الأمر العظيم الذي لم يروه أحد من أصحاب الصحاح ولا السنن ولا المسانيد المشهورة ؟ فالله أعلم ولا ندري أسمعت ؟ أم هذا من جدتها أسماء بنت عميس أم لا ثم ورواه أبو القاسم من طريق الحسين بن الحسن الأشقر وهو شيعي جلد وكذلك من طريق عبيد الله بن موسى العبسي وهو من الشيعة أيضا كليهما عن فضيل بن مرزوق ثم رواه من طريق أشعب ابن أبي الشعثاء عن أمه وهي مجهولة ثم ساقة عن حسين الأشقر وهو شيعي ضعيف عن علي بن هاشم بن البريد وقد قال فيه بن حبان كان غاليا في التشيع يروى المناكير عن المشاهير .

أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فهو من طريق يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي عن أبيه ثنا داود بن فراهيج وكلهم مضعفون .

موقوفًا كأبي الفرج بن الجوزي ، وهذا أصح . وكذلك معراجه إلى السماوات[1] .

وأما الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة ، كحديث الأعرابي[2] الـذي في الصحيحين وغيرهما ، وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره ، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

= وأما حديث أبي سعيد فقال ابن كثير بعد أن ساقه إسناداً ومتنا وهذا إسناد مظلم ومتنه منكر ومخالف لما تقدم من السياقات وكل هذا يدل على أنه موضوع مصنوع مفتعل يسرقه هؤلاء الرافضة بعضهم من بعض .

وأما حديث أمير المؤمنين علي رضى الله عنه فقال فيه أيضا وهذا الإسناد مظلم وأكثر رجاله لا يعرفون والذي يظهر والله أعلم أنه مركب مصنوع مما عملته أيدي الروافض قبحهم الله ولعن من كذب على رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال رحمه الله والأئمة في كل عصر ينكرون صحة هذا الحديث ويردون ويبالغون في التشنيع على رواته كمحمد ويعلي بن عبيد الطنافسيين وكإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني – خطيب دمشق وكأبي محمد بن حاتم البخاري – المعروف بابن زنجوية كالحافظ ابن عساكر والشيخ أبي الفرج بن الجوزي وغيرهم وممن صرح بأنه موضوع شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي والعلامة أبو العباس ابن تيمية .

وقال الحافظ ابن حجر الفتح [٦/ ٢٥٦] بعد أن ساق حديث أسماء بنت عميس هذا وعزاه إلى الطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات وكذا ابن تيمية في « كتاب الرد على الروافض » في زعم مصنفه والله أعلم . قلت « وليس معنى كلام الحافظ أن الحديث صحيح أو حسن بل هو ضعيف وإنما استنكر الحافظ رحمه الله الحكم على الحديث بالوضع » والله أعلم .

(١) حديث المعراج «حديث صحيح» البخاري [١/ ٥٤٧] رقم ٣٤٩ من حديث أبي ذر رضي الله عنه وعنده أيضا [٧/ ٢٤١] رقم ٣٨٨٧ من رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ومسلم [١/ ١٥٠] رقم ٢٦٤ وأحمد [٤/ ٢٠٧ ، ٢٠٨] وفيه تصريح أنس بن مالك بتحديث مالك بن صعصعة له والبيهقي في دلائل النبوة [٢/ ٣٧٣] .

(٢) قوله فاستسقاؤه واستصحاؤه كحديث الأعرابي الذى فى الصحيحين وغيرهما قوله . استسقاؤه قال الحافظ في الفتح [٢/ ٥٧١] الاستسقاء لغة طلب سقي الماء من الغير . =

وأما الأرض والماء فكاهتزاز الجبل تحته[1] وتكثير الماء في عين تبوك[2] وعين الحديبية[3]

= للنفس أو الغير قوله استصحاؤه أي طلبه الصحو وهو ذهاب الغيم يقال سماء صحو لا غيم فيها كما في البداية والنهاية [٦/ ١٠١] .

أما الحديث فهو صحيح أخرجه البخاري [٢/٥٨١] رقم ١٠١٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ومسلم [٦/ ١٩١] مع النووي والنسائي [٣/ ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧] .

(١) اهتزاز الجبل «حديث صحيح» البخاري [٧/ ٢٦ ، ٥١ ، ٦٦] أرقام ٣٦٧٥ ، ٣٦٨٦ ، ٣٦٩٩ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفيه أبو بكر وعمر وعثمان مع النبي ﷺ فقط ، ومسلم [١٥/ ١٩٠] من حديث أبي هريرة وفيه كان علي حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير [رضي الله عنهم] وعنده أيضا من طريق أخرى عن أبي هريرة وزاد عليهم سعد بن أبي وقاص . [١٥/ ١٩١] والترمذي [٥/ ٢٨٦] رقم ٣٧٨٠ كما عند البخاري وقال هذا حديث حسن صحيح من حديث أنس وعند غيره أيضا [٥/ ٢٨٧] رقم ٣٧٨١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال حديث صحيح .

(٢) تكثير الماء في عين تبوك «حديث صحيح» مسلم [٤/ ١٧٨٤] رقم ١٠ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ورواه مالك في الموطأ [١/ ١٤٣] باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر .

(٣) تكثير الماء في الحديبية « حديث صحيح » البخاري [٦/ ٦٧٢] رقم ٣٥٧٦ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وفيه أن الناس عطشوا يوم الحديبية . . . الحديث وعنده أيضا [٦/ ٦٧٣] رقم ٣٥٧٧ من حديث البراء رضي الله عنه قال « كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة فجلس النبي صلى الله عليه وسلم على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت – أو صدرت – ركائبنا . وعنده أيضا [٧ / ٥٠٥] من حديث البراء أيضا مسلم [١٢/ ١٧٤] مع النووي من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه .

ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة [1] ، ومزادة المرأة [2].

وأما المركبات فتكثيره للطعام[3] غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبي طلحة[4]، وفي أسفاره[5]، وجراب أبي هريرة[6]، ونخل جابر بن عبد الله[7]، وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه[8]، وسقياه لغير واحد من الأرض كعين أبي قتادة[9]. وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنما الغرض التمثيل .

---

(١) نبع الماء من بين أصابعه غير مرة . . . « حديث صحيح » « أ » رواية أنس بن مالك رضي الله عنه .

١ - رواية قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه/البخارى [٦/ ٦٧٢] رقم ٣٥٧٢ وفيه أتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه . . . الحديث ومسلم [٤/ ١٧٨٣] رقم ٦ ، ٧ .

٢ - رواية الحسن عن أنس رضي الله عنه /البخارى [٦/ ٦٧٢] رقم ٣٥٧٤ وفيه خرج النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مخارجه . . الحديث .

٣ - رواية اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه/البخارى [١/ ٣٢٥] رقم ١٦٩ ومسلم [٤/ ١٧٨٣] رقم ٥ والنسائي [١/ ٦٠] والترمذي [٥/ ٢٥٦] ٣٧١٠ وقال حديث حسن صحيح .

٤ - رواية حميد عن أنس/البخارى [١/ ٣٦٠] رقم ١٩٥ .

٥ - رواية ثابت عن أنس/ البخاري [١/ ٣٦٤] رقم ٢٠٠ .

« ب » حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما/البخارى [٦/ ٦٧٢] رقم ٣٥٧٦ وفيه عطش الناس يوم الحديبية . . . الحديث ومسلم [١٨/ ١٣٣] من حديث جابر الطويل في آخر الكتاب وفيه فرأيت الماء يفور من بين أصابعه قال الحافظ في الفتح وعند أحمد من رواية نبيح الفتري عن جابر وفيه قول جابر فو الذي أذهب بصري لقد رأيت الماء يخرج من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توضئوا أجمعون . .

« جـ » حديث ابن مسعود رضي الله عنه /البخارى [٦/ ٦٧٩] رقم ٣٥٧٩ والترمذي [٥/ ٢٥٧] رقم ٣٧١٢ وقال هذا حديث حسن صحيح . =

....

= « د » حديث ابن عباس رضي الله عنهما عزاه الحافظ ابن حجر إلى الإمام أحمد والطبراني قال الحافظ : وظهر لي من مجموع الروايات أنهما قصتان في موطنين للتغاير في عدد من حضر وهي مغايرة واضحة يبعد الجمع فيها وكذلك تعين المكان الذي وقع ذلك فيه لأن ظاهر رواية الحسن أن ذلك كان في السفر بخلاف رواية قتادة فإنها ظاهرة في أنها كانت بالمدينة : انتهى والله أعلم .

(٢) مزادة المرأة « حديث صحيح » البخاري [٦/ ٦٧١] رقم ٣٥٧١ من حديث سلم ابن رزين ومسلم [١/ ٤٧٤] رقم ٣١٢ وعند البخاري أيضا [١/ ٥٣٣] رقم ٣٤٤ من حديث عوف الأعرابي ومسلم [٤٧٦/١] كلاهما عن أبي رجاء العطاردي واسمه عمران بن تيم عن عمران بن حصين .

(٣) تكثير الطعام في غزوة الخندق من حديث جابر « حديث صحيح » البخاري [٧/ ٤٥٧] رقم ٤١٠٢ ومسلم [٣/ ١٦١٠] رقم ١٤١ .

(٤) حديث أبي طلحة البخاري [٦/ ٦٧٨] رقم ٣٥٧٨ وعنده أيضا في مواضع أخرى من صحيحه ومسلم [٣/ ١٦١٢] – ١٤٢ ، ١٤٣ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية [٦/ ١٢٥ ، ١٢٦] بعد أن ذكر طرق الحديث المختلفة (فهذه طرق متواترة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه شاهد ذلك على ما فيه من اختلاف عنه في بعض حروفه ولكن أصل القصة متواتر لا محالة كما نرى ولله الحمد والمنة فقد رواه عن أنس ابن مالك – اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة وبكر بن عبد الله المزني ، وثابت البناني ، والجعد ابن عثمان ، وسعد بن سعيد ، وسنان بن ربيعة ، عبد الله بن عبد الله بن أبي طلحة وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعمرو بن عبد الله بن أبي طلحة ومحمد بن سيرين ، والنضر بن أنس ، ويحيى بن عمارة بن أبي حسن ، ويعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة .

(٥) قوله وفي أسفاره «حديث صحيح» مسلم [١/ ٥٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير . . . الحديث وعنده أيضا [١/ ٥٦] عن أبي هريرة أو أبي سعيد شك الأعمش (لما كانت غزوة تبوك) . . . الحديث وعند الإمام أحمد [٣/ ٤١٧] من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قال حدثني أبي قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة . . . الحديث وعزاه ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية [٦/ ١٣٢ ، ١٣٣] إلى الحافظ أبو يعلي من حديث عمر بن الخطاب وسلمة بن الأكوع رضي الله عنهما . والله أعلم . =

وكذلك من باب القدرة عصا موسى ﷺ وفلق البحر والقمل والضفادع والدم ، وناقة صالح ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى ، كما أن من باب العلم إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . وفي الجملة لم يكن المقصود هنا ذكر المعجزات النبوية بخصوصها ، وإنما الغرض التمثيل بها .

=(٦) أما جراب أبي هريرة . . . . حديث صحيح . فعند الإمام أحمد [٢/ ٣٢٤] من طريق أبي عامر واسمه عبد الملك بن عمرو وعنده أيضا [٢/ ٣٥٢] من طريق المهاجر عن أبي العالية وعند الترمذي [٥/ ٣٤٩] رقم ٣٩٢٨ وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه والبيهقي في الدلائل [٦/ ١٠٩] .

(٧) نخل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . « حديث صحيح » البخاري [٤/ ٤٠٣] رقم ٢١٢٧ من حديث جابر وعنده أيضا [٥/ ٧٢ ، ٧٣] رقمي ٢٣٩٥ ، ٢٣٩٦ وعند النسائي [٦/ ٢٤٤] .

(٨) حديث انقلاع النخل وعوده إلى مكانه «حديث صحيح» حديث جابر عند مسلم [٤/ ٢٣٠٦] رقم ٣٠١٢ أما حديث ابن الزبير فلم أعثر عليه لكن وجدته من حديث ابن عباس عند الإمام أحمد [١/ ٢٢٣] والترمذي [٥/ ٢٥٤] رقم ٣٧٠٧ وقال هذا حديث حسن غريب صحيح قلت « هو حديث صحيح ورجاله ثقات » وعند ابن ماجه [٢/ ١٣٣٦] رقم ٤٠٢٨ من حديث أنس بن مالك قال محققه « في الزوائد هذا إسناد صحيح إن كان أبو سفيان واسمه طلحة بن نافع سمع من جابر » قلت الظاهر من كلام الحافظ في التهذيب أنه لم يسمع من جابر » والله أعلم .

(٩) عين أبي قتادة أو ميضأة أبي قتادة «حديث صحيح» مسلم [١/ ٤٧٢] رقم ٣١١ والبيهقي [٦/ ١٣٢] في الدلائل وأبو نعيم [٢/ ٥٢٣] رقم ٣١٥ .

وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم فمثل قول عمر في قصة سارية[1] ، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى ، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً . وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام ، والقدرة مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب . وقصة أهل الكهف ، وقصة مريم ، وقصة خالد بن الوليد[2] وسفينة[3] مولى رسول الله ﷺ وأبي مسلم الخولاني[4] ، وأشياء يطول شرحها . فإن تعداد

---

(١) قول عمر رضي الله عنه في قصة سارية « حديث حسن » أخرجه أبو نعيم الأصبهاني [٢/ ٧٤٠ ، ٧٤١] من عدة طرق أثبتها طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر . . . فذكره قال الحافظ فى الإصابة [٢/ ٣/ ٥٣] أخرجها البيهقي في الدلائل واللآلىء في شرح السنة والزين عاقولى في فوائده وابن العربي في كرامات الأولياء من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر . . . وهكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وهب وهو إسناد حسن قلت يحيى بن أيوب وهو الغافقي صدوق وبالتالي فحديثه حسن والله أعلم .

(٢) قوله قصة خالد بن الوليد ١ – يحتمل شربه السم فلم يضره « صحيح » الطبراني (في الكبير) [٢/ ٤/ ١٠٥] رقم ٣٨٠٨ بسند مرسل من طريق أبي بردة عن خالد وأبو بردة لم يسمع من خالد وعنده أيضا [٢/ ٤/ ١٠٦] رقم ٣٨٠٩ من حديث قيس بن أبي حازم قال رأيت خالد بن الوليد أتي بسم فقال ما هذا قالوا سم قال بسم الله وازدرده قال محققه قال في مجمع الزوائد [٧/ ٢٢٣] رجاله رجال الصحيح .

٢ – ويحتمل ما ذكره الحافظ في الإصابة [١/ ٢/ ٩٩] قال وروى ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال أتي خالد بن الوليد رجل معه زق خمر فقال اللهم اجعله عسلاً فصار عسلاً .

(٣) قصة سفينة فيها قولان الأول حمله للشيء الكثير وهو سبب تسميته سفينة (حديث حسن) كما قال له النبي صلى الله عليه وسلم احمل ما أنت إلا سفينة أخرجه الحاكم [٣/ ٦٠٦] والبيهقي [٦/ ٤٧] في الدلائل والإمام أحمد [٥/ ٢٢١] عن حشرج بن نباته قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قلت حشرج بن نباته في حديثه مقال لا يرتقي إلى درجة الصحة فقد قال الحافظ في التغريب صدوق يهم وقد وثقه الإمام أحمد وقال مرة ليس بالقوى وقال ابن معين صالح ثقة لا بأس به وقال النسائي ليس به بأس وأخرج له الترمذي حديثا وحسنه كما في التهذيب فالحديث « حسن » وهو عند الطبراني [٤/ ٧/ ٨٢ ، ٨٣] أرقام ٦٤٣٩ ، ٦٤٤٠ ، ٦٤٤١ وأحمد [٥/ ٢٢٠ ، =

....

=٢٢١ ، ٢٢٢] عن سعيد بن جمهان وهو صدوق أيضا . الثاني موقف الأسد معه (حديث ضعيف) قال الحاكم يرحمه الله [٣/ ٦٠٦] وحدثنا أبو العباس ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنبأ ابن وهب أخبرني أسامة بن زيد أن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان حدثه عن محمد بن المنكدر أن سفينة مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحاً من ألوحها فطرحني في أجمة فيها الأسد فأقبل إلى يريدني فقلت يا أبا الحارث أنا مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فطأطأ رأسه وأقبل إلى فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووصفنى على الطريق وهمهم ، فظننت أنه يودعني فكان آخر عهدي به قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ليس من رجال مسلم كما في تهذيب التهذيب وهو صدوق كما قال الحافظ في التقريب وقال الحافظ أن محمد بن المنكدر ولد سنة ٣٠ أو ٣١ ومات على ٧٦ سنة وبهذا تكون روايته عن عائشة وأبي هريرة وأبي قتادة وسفينة مرسلة فيكون الحديث ضعيف . والله أعلم والحديث عند الطبراني [٤/ ٧/ ٨٠] رقم ٦٤٣٢ .

(٤) قوله وأبي مسلم الخولاني .

١ – مشيه على الماء « صحيح الإسناد » قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية [٣/ ٦/ ٢٩٥] وروى البيهقي من طريق أبي النضر عن سليمان بن المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي الخشب من قدها فمشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال هل تفقدون من متاعكم شيئا فندعو الله تعالى ؟ ثم قال هذا إسناد صحيح قلت « أي ابن كثير » وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة أبي عبد الله بن أيوب الخولاني هذه القصة بأبسط من هذه من طريق بقية ابن الوليد حدثني محمد بن زياد عن مسلم الخولاني أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر قال : أجيزوا بسم الله قال ويمر بين أيديهم فيمرون على الماء فما يبلغ من الدواب إلا إلى الركب أو في بعض ذلك ؟ أو قريبا من ذلك ثم قال وقد رواه أبو داود حدثنا موسى بن أسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد أنا أبا مسلم الخولاني أتي على دجلة . . . بنحو ما ذكره البيهقي قال وقد رواه بن عساكر من طريق أخرى عن عبد الكريم بن رشيد عن حميد بن هلال العدوي حدثني ابن عمى أخى أبي قال خرجت مع أبي مسلم في جيشين فذكره .

٢ – إلقاؤه في النار فلم تصبه قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية [٣/ ٦/ ٣٠٢] رواه الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر رحمه الله في ترجمة أبي مسلم – عبد الله بن أيوب في تاريخه من غير وجه عن عبد الوهاب بن محمد عن إسماعيل بن عياش الحطيمي =

هذا مثل المطر . وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس . وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه .

فصل

الخارق يكون نعمة من الله ، ويكون سببًا للعذاب :

الخارق كشفًا كان أو تأثيرًا إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينًا وشرعًا ، إما واجب وإما مستحب . وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرًا ، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه كان سببًا للعذاب أو البغض ، كقصة الذي أوتي الآيات فانسلخ منها : بلعام بن باعوراء[1] ، لكن قد يكون صاحبها معذورًا لاجتهاد أو تقليد أو نقص عقل أو علم أو غلبة حال أو عجز أو ضرورة فيكون من جنس برح العابد ، والنهي قد يعود إلى سبب الخارق وقد يعود إلى مقصوده **فالأول** : مثل أن يدعو الله دعاء منهيًّا عنه اعتداء عليه . وقد قال تعالى : ﴿ **ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُـحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ** ﴾[2] ومثل الأعمال المنهي عنها إذا أورثت كشفًا أو تأثيرًا . (**والثاني**) : أن يدعو على غيره بما لا يستحقه ، أو يدعو للظالم بالإعانة ويعنيه بهمته ، كخفراء العدو

= حدثني شرحبيل بن مسلم الخولاني أن الأسود بن قيس العنسى تنبأ باليمن فأرسل إلى أبي مسلم الخولانى فأتى به فلما جاء به قال أتشهد أني رسول الله ؟ قال ما أسمع قال أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال نعم قال فردد ذلك مراراً ثم أمرنا بنار عظيمة تأججت فألقى فيها فلم يضره . . . الحديث وذكر هذه القصة الحافظ ابن حجر في ترجمة أبى مسلم الخولاني في تهذيب التهذيب .

(١) قوله بلعام بن باعوراء .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره [٢/ ٢٦٤] قال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ﴾ الآية قال هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن باعوراء وكذا رواه شعبه وغير واحد عن منصور به . وعند ابن جرير [٦/ ٩/ ٨٢] وقال ابن جرير رحمه الله [٦/ ٩/ ٨٣] حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا إسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعام .

(٢) سورة الأعراف : الآية (٥٥) .

وأعوان الظلمة من ذوي الأحوال . فإن كان صاحبه من عقلاء المجانين والمغلوبين غلبة بحيث يعذرون والناقصين نقصًا لا يلامون عليه كانوا برحية[1] . وقد بينت في غير هذا الموضع ما يعذرون فيه وما لا يعذرون فيه ، وإن كانوا عالمين قادرين كانوا بلعامية[2] ، فإن من أتى بخارق على وجه منهي عنه أو لمقصود منهي عنه فإما أن يكون معذورًا معفوًا عنه كبرح أو يكون متعمدًا للكذب كبلعام .

أنواع الخوارق محمودة ومذمومة ومباحة[3] :

فتخلص أن الخارق ثلاثة أقسام : محمود في الدين ، ومذموم في الدين ، ومباح لا محمود ولا مذموم في الدين . فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة وإن لم يكن فيه منفعة كان كسائر المباحات التي لا منفعة فيها كاللعب والعبث .

اطلب الاستقامة لا الكرامة[4] :

قال أبو علي الجوزجاني : كن طالبًا للاستقامة لا طالبًا للكرامة ، فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة .

قال الشيخ السهروردي في عوارفه : وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب ، وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب ، وذلك أن المجتهدين والمتعبدين سمعوا عن سلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فأبدًا نفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ، ويحبون أن يرزقوا شيئًا من ذلك ، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهمًا لنفسه في صحة عمله حيث لم يكاشف بشيء من ذلك ، ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر ، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابًا . **والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة تفننا** ، فيقوى عزمه على هذا الزهد في الدنيا ،

---

(١) نسبة إلى الراهب المتقدم ذكره .

(٢) نسبة إلى بلعام بن باعوراء .

(٣) عنوان مضاف من المحقق .

(٤) عنوان مضاف من المحقق .

والخروج من دواعي الهوى ، وقد يكون بعض عباده يكاشف بصدق اليقين ، ويرفع عن قلبه الحجاب ، ومن كوشف بصدق اليقين أغني بذلك عن رؤية خرق العادات ، لأن المراد منها كان حصول اليقين ، وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق صدق اليقين بشيء من ذلك لازداد يقيناً ، فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع استغناء به ، وتقتضي الحكمة كشف ذلك لآخر لموضع حاجته ، وكان هذا الثاني يكون أتم استعدادًا وأهلية من الأول ، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ، فهي كل الكرامة . ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع فما يبالي ولا ينقص بذلك ، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة .

فتعلم هذا لأنه أصل كبير للطالبين ، والعلماء الزاهدين ، ومشايخ الصوفية[1] .

(١) يذكر الشيخ ابن تيمية كلمة الصوفية وكأنها حقيقة شرعية ، وقد أنكر ذلك فى رسالة الفرقان حيث قال : وقد تنازع الناس : أيهما أفضل مسمى الصوفى . أو مسمى الفقير ؟ فقال : وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد وبين أبى العباس بن عطاء وقد روى عن أحمد بن حنبل فيها روايتان . والصواب فى هذا كله ما قاله الله تبارك وتعالى حيث قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات (١٣) رسالة الفرقان من مجموعة التوحيد ص ٤٩٧

فصل

كلمات الله الكونية ، وكلماته الدينية[1] :

كلمات الله تعالى نوعان : كلمات كونية ، وكلمات دينية . **فكلماته الكونية هي** التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله : « أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر[2] » وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾[4] والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وسائر الخوارق الكشفية التأثيرية .

(**والنوع الثاني**) **الكلمات الدينية** وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله وهي : أمره ونهيه وخبره ، وحظ العبد منها العلم بها والعمل ، والأمر بما أمر الله به ، كما أن حظ العبد عموماً وخصوصاً من الأول العلم بالكونيات ، والتأثير فيها . أي بموجبها .

كلمات الله قدرية كونية ومنها الخوارق وشرعية وأقسام الناس فيهما[5] :

(**فالأولى**) قدرية كونية (**والثانية**) شرعية دينية ، وكشف الأولى العلم بالحوادث

---

(١) العنوان مضاف من المحقق .

(٢) قوله « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » حديث ضعيف الإسناد « الطبراني في الكبير [٢/ ٤/ ١١٥] رقم ٣٨٣٨ قال محققه قال في مجمع الزوائد [١٠/ ١٢٧] وفيه المسيب بن واضح وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وكذلك الحسن بن علي المعمري وبقية رجاله رجال الصحيح قلت المسيب بن واضح في حديثه مقال ينزل به عن الحسن كما في الميزان ورواه مالك عن يحيى بن سعيد قال أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم . . . . . الحديث وهو مرسل أما الصحيح فهو ما رواه مسلم رحمه الله تعالى [٤/ ٢٠٨٠] رقم ٥٤عن خولة بنت حكيم بلفظ « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق » .

(٣) سورة يس : الآية [٨٢] .

(٤) سورة الأنعام : الآية [١١٥] .

(٥) عنوان مضاف من المحقق .

الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية ، وقدرة الأولى التأثير في الكونيات ، وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات ، وكما أن الأولى تنقسم إلى تأثير في نفسه ، كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء ، وجلوسه على النار ، وإلى تأثير في غيره بإسقام وإصحاح ، وإهلاك وإغناء وإفقار ، فكذلك الثانية تنقسم إلى تأثير في نفسه بطاعته لله ورسوله ، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً ، وإلى تأثير في بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية ، بحيث تقبل النفوس ما يأمرها به تأثير في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية ، بحيث تقبل النفوس ما يأمرها به من طاعة الله ورسوله في الكلمات الدينيات . كما قبلت من الأول ما أراد تكوينه فيها بالكلمات الكونيات .

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضرّ المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله . بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه إذا لم يكن وجود ذلك في حقه مأموراً به أمر إيجاب ولا استحباب ، وأما عدم الدين والعمل به فيصير الإنسان ناقصاً مذموماً إما أن يجعله مستحقًّا للعقاب ، وإما أن يجعله محروماً من الثواب ، وذلك لأن العلم بالدين وتعليمه والأمر به ينال به العبد رضوان الله وحده وصلاته وثوابه ، وأما العلم بالكون والتأثير فيه فلا ينال به ذلك إلا إذا كان داخلاً في الدين ، بل قد يجب عليه شكره ، وقد يناله به إثم .

إذا عرف هذا فالأقسام ثلاثة : إما أن يتعلق بالعلم والقدرة بالدين فقط ، أو بالكون فقط .

الأقسام الثلاثة في الخوارق العلمية والعملية والدينية :[1]

(**فالأول**) كما قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً ﴾[2] فإن السلطان النصير يجمع

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٨٠) .

الحجة والمنزلة عند الله ، وهو كلماته الدينية والقدرية الكونية عند الله بكلماته الكونيات ، ومعجزات الأنبياء عليهم السلام تجمع الأمرين ، فإنها حجة على النبوة من الله وهي قدره . وأبلغ ذلك القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ، فإنه هو شرع الله وكلماته الدينيات ، وهو حجة محمد ﷺ على نبوته ومجيئه من الخوارق للعادات . فهو الدعوة وهو الحجة والمعجزة .

(**وأما القسم الثاني**) فمثل من يعلم بما جاء به الرسول خبراً وأمراً ويعمل به ويأمر به الناس ، ويعلم بوقت نزول المطر وتغير السعر ، وشفاء المريض ، وقدوم الغائب ، ولقاء العدو ، وله تأثير إما في الأناسي ، وإما في غيرهم بإصحاح وإسقام وإهلاك ، أو ولادة أو ولاية أو عزل . وجماع التأثير إما جلب منفعة كالمال والرياسة ، وإما دفع مضرة كالعدو والمرض ، أو لا واحد منهما مثل ركوب أسد بلا فائدة ، أو إطفاء نار ونحو ذلك .

(**وأما الثالث**) فمن يجتمع له الأمران ، بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكوني ، ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي . وهو علم الدين والعمل به ، والأمر به ، ويؤتى من علم الدين والعمل به ، ما يستعمل به الكشف والتأثير الكوني ، بحيث تقع الخوارق الكونية تابعة للأوامر الدينية ، أو أن تخرق له العادة في الأمور الدينية ، بحيث ينال من العلوم الدينية ، ومن العمل بها ، ومن الأمر بها ، ومن طاعة الخلق فيها ، ما لم ينله غيره في مطرد العادة ، فهذه أعظم الكرامات والمعجزات وهو حال نبينا محمد ﷺ وأبي بكر الصديق وعمر وكل المسلمين .

فهذا القسم الثالث هو مقتضى (إياك نعبدُ وإياك نستعين) إذ الأول هو العبادة ، والثاني هو الاستعانة ، وهو حال نبينا محمد ﷺ والخواص من أمته المتمسكين بشرعته ومنهاجه باطناً وظاهراً ، فإن كراماتهم كمعجزاته لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة ، فالحجة ليظهر بها دين الله ليؤمن الكافر ويخلص المنافق ويزداد الذين آمنوا إيماناً ، فكانت فائدتها اتباع دين الله علماً وعملاً كالمقصود بالجهاد ، والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليها كالطعام والشراب وقت الحاجة إليه أو دفع مضرة عنهم ككسر العدو بالحصى الذي

رماهم به فقيل له : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[1] وكل من هذين يعود إلى منفعة الدين كالأكل والشرب وقتال العدو والصدقة على المسلمين فإن هذا من جملة الدين والأعمال الصالحة .

مايكون من الخوارق كمالاً وما يكون نقصاً[1] :

وأما **القسم الأول** وهو المتعلق بالدين فقط فقد يكون منه ما لا يحتاج إلى الثاني ولا له فيه منفعة ، كحال كثير من الصحابة والتابعين وصالحي المسلمين وعلمائهم وعبادهم ، مع أنه لابد أن يكون لهم شخصاً أو نوعاً بشيء من الخوارق ، وقد يكون منهم من لا يستعمل أسباب الكونيات ولا عمل بها ، فانتفاء الخارق الكوني في حقه إما لانتفاء سببه ، وإما لانتفاء فائدته ، وانتفاؤه لانتفاء فائدته لا يكون نقصاً ، وأما انتفاؤه لانتفاء سببه فقد يكون نقصاً وقد لا يكون نقصاً ، فإن كان لإخلاله بفعل واجب وترك محرم كان عدم الخارق نقصاً وهو سبب الضرر ، وإن كان لإخلاله بالمستحبات فهو نقص عن رتبة المقربين السابقين وليس هو نقصاً عن رتبة أصحاب اليمين المقتصدين ، وإن لم يكن كذلك بل لعدم اشتغاله بسبب بالكونيات التي لا يكون عدمها ناقصاً لثواب لم يكن ذلك نقصاً ، مثل من يمرض ولده ويذهب ماله فلا يدعو ليعافى أو يجيء ماله ، أو يظلمه ظالم فلا يتوجه عليه لينتصر عليه .

وأما **القسم الثاني** وهو صاحب الكشف والتأثير الكوني فقد تقدم أنه تارة يكون زيادة في دينه ، وتارة يكون نقصاً ، وتارة لا له ولا عليه ، وهذا غالب حال أهل الاستعانة ، كما أن الأول غالب حال أهل العبادة ، وهذا الثاني بمنزلة الملك والسلطان الذي قد يكون صاحبه خليفة نبيًّا ، فيكون خير أهل الأرض ، وقد يكون ظالماً من شر الناس ، وقد يكون ملكاً عادلاً فيكون من أوساط الناس فإن العلم بالكونيات والقدرة

---

(١) سورة الأنفال : الآية (١٧) .

على التأثير فيها بالحال والقلب كالعلم بأحوالها والتأثير فيها بالملك وأسبابه ، فسلطان الحال والقلب كسلطان الملك واليد ، إلا أن أسباب هذا باطنة روحانية ، وأسباب هذا ظاهرة جثمانية . وبهذا تبين لك أن القسم الأول إذا صح فهو أفضل من هذا القسم ، وخير عند الله وعند رسوله وعباده الصالحين المؤمنين العقلاء وذلك من وجوه :

الكشف والتأثير الروحاني قد يكونان مفاسد في الدين والدنيا :[1]

(**أحدهما**) أن علم الدين طالباً وخبراً لا ينال إلا من جهة الرسول ﷺ ، وأما العلم بالكونيات فأسبابه متعددة ، وما اختص به الرسل وورثتهم أفضل مما شركهم فيه بقية الناس ، فلا ينال علمه إلا هم وأتباعهم ، ولا يعلمه إلا هم وأتباعهم .

(**الثاني**) أن الدين لا يعمل به إلا المؤمنون الصالحون الذين هم أهل الجنة وأحباب الله وصفوته وأحباؤه وأولياؤه ولا يأمر به إلا هم .

وأما التأثير الكوني فقد يقع من كافر ومنافق وفاجر ، تأثيره في نفسه وفي غيره كالأحوال الفاسدة والعين والسحر ، وكالملوك والجبابرة المسلطين والسلاطين الجبابرة ، وماكان من العلم مختصًّا بالصالحين أفضل مما يشترك فيه المصلحون والمفسدون .

(**الثالث**) أن العلم بالدين والعمل به ينفع صاحبه في الآخرة ولا يضره . وأما الكشف والتأثير فقد لا ينفع في الآخرة بل قد يضره كما قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ** ﴾[2] .

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) سورة البقرة الآية (١٠٣) .

(**الرابع**) أن الكشف والتأثير إما أن يكون فيه فائدة أو لا يكون ، فإن لم يكن فيه فائدة كالاطلاع على سيئات العباد وركوب السباع لغير حاجة والاجتماع بالجن لغير فائدة والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر فهذا لا منفعة فيه لا في الدينا ولا في الآخرة ، وهو بمنزلة العبث واللعب وإنما يستعظم هذا من لم ينله وهو تحت القدرة والسلطان في الكون مثل من يستعظم الملك أو طاعة الملوك لشخص وقيام الحالة عند الناس بلا فائدة ، فهو يستعظمه من جهة سببه لا من جهة منفعته كالمال والرياسة ، ودفع مضرة كالعدو والمرض ، فهذه المنفعة تنال غالباً بغير الخوارق أكثر مما تنال بالخوارق ، ولا يحصل بالخوارق منها إلا القليل ، ولا تدوم إلا بأسباب أخرى . وأما الآخر أيضاً فلا يحصل بالخوارق إلا مع الدين ، والدين وحده موجب للآخرة بلا خارق ، بل الخوارق الدينية الكونية أبلغ من تحصيل الآخرة ، كحال نبينا محمد ﷺ وكذلك المال والرياسة التي تحصل لأهل الدين بالخوارق ، إنما هو مع الدين وإلا فالخوارق وحدها لا تؤثر في الدنيا إلا أثراً ضعيفاً .

فإن قيل : مجرد الخوارق إن لم تحصل بنفسها منفعة لا في الدين ولا في الدنيا فهي علامة طاعة النفوس له ، فهو موجب الرياسة والسلطان ، ثم يتوسط ذلك فتجتلب المنافع الدينية والدنيوية ، وتدفع المضار الدينية والدنيوية .

المنافع الدينية والدنيوية بأسبابهما أعم وأعظم منها بالخوارق :[1]

قلت : نحن لم نتكلم إلا في منفعة الدين أو الخارق في نفسه من غير فعل الناس . وأما إن تكلمنا فيما يحصل بسببها من فعل الناس فنقول ، **أولاً** : الدين الصحيح أوجب لطاعة النفوس وحصول الرياسة من الخارق المجرد كما هو الواقع ، فإنه لا نسبة لطاعة من أطيع لدينه إلى طاعة من أطيع لتأثير ، إذ طاعة الأول أعمّ وأكثر ، والمطيع بها خيار بني آدم عقلا وديناً ، وأما الثانية فلا تدوم ولا تكثر ولا يدخل فيها إلا جهال الناس ، كأصحاب مسيلمة الكذاب[2]

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) مسيلمة الكذاب قال الحافظ في الفتح [٧/ ٦٩١] ومسيلمة مصغر بكسر اللام ابن ثمامة بن كبير بموحدة ابن حبيب بن الحارث من بني حنيفة وكان يقال له رحمان =

وطليحة الأسدي[1] ونحوهم وأهل البوادي والجبال ونحوهم ممن لا عقل له ولا دين .

ثم نقول **ثانياً** : لو كان صاحب الخارق يناله من الرياسة والمال أكثر من صاحب الدين لكان غايته أن يكون ملكاً من الملوك ، بل ملكه إن لم يقرنه بالدين فهو كفرعون وكمقدمي الإسماعيلية[2] ونحوهم ، وقد قدمنا أن رياسة الدنيا التي ينالها الملوك

= اليمامة لعظم قدره عند قومه انتهى.وقد ادعى النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله [٧/ ٦٩٠] رقم ٤٣٧٣ قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . الحديث وقد أرسل الصديق رضي الله عنه : إليه خالد بن الوليد بعد أن أرسل إليه عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة فلم يقاوما بني حنيفة لأنهم كانوا في نحو أربعين ألفا من المقاتلة فقاتلهم رضي الله عنه حتى كسرهم في حديقة الموت ومات مسيلمة لعنه الله بعد أن طعنه وحش بن حرب قاتل حمزة وسارع إليه أبو دُجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط.ذكره ابن كثير في البداية والنهاية [٦/ ٣٦٦] .

(١) أما طليحة الأسدي فقد قال ابن كثير في البداية والنهاية [٧/ ١٣٠] ما مختصره هو طليحة بن خويلد الأسدي الفعقس كان ممن شهد الخندق من ناحية المشركين ثم أسلم سنة تسع ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم ارتد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام الصديق وادعى النبوة وروى ابن عساكر أنه ادعى النبوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله مع المسلمين وقائع إلى أن خذله الله على يدى خالد بن الوليد بمكان يُقال له بُزاخه وتفرق جنده وهرب بامرأته إلى الشام . ثم رجع إلى الإسلام واعتمر وشهد اليرموك والقادسية وقد حسن إسلامه بعد ذلك حتى عده ابن سعد في الطبقة الرابعة من الصحابة وقال كان يعُد بألف فارس لشدته وشجاعته وبصره بالحرب . وقال ابن عساكر ذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن الفراس الوارق أن طليحة استشهد بنهاوند سنة احدى وعشرين مع النعمان بن مقرن وعمرو بن معدي كرب رضى الله عنهم . . انتهى مختصراً .وانظر الفرق بن الفرق ص : ١٣ .

(٢) فرقة الإسماعيلية : هي من فرق الرافضة المنسوبين إلى محمد بن إسماعيل عليهما الرحمة وليسا على دينه . قالوا : أنه الذي إليه كتم السر الباطن عندهم الذي أمر الله نبيه بكتمه=

بسياستهم وشجاعتهم وإعطائهم أعظم من الرياسة بالخارق المجرد ، فإن هذه أكثر ما يكون مدة قريبة .

أسباب الكشف والتأثير الخارق للعادة ومضارهما :[1]

(**الخامس**) أن الدين ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ويدفع عنه مضرة الدنيا والآخرة من غير أن يحتاج معه إلى كشف أو تأثير .

وأما الكشف أو التأثير فإن لم يقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ، أما في الآخرة فلعدم الدين الذي هو أداء الواجبات وترك المحرمات ، وأما في الدنيا فإن الخوارق هي من الأمور الخطرة التي لا تنالها النفوس إلا بمخاطرات في القلب والجسم والأهل والمال ، فإنه إن سلك طريق الجوع والرياضة المفرطة خاطر بقلبه ومزاجه ودينه ، وربما زال عقله ومرض جسمه وذهب دينه ، وإن سلك طريق الوَلَه والاختلاط بترك الشهوات ليتصل بالأرواح الجنية وتغيب النفوس عن أجسامها ، كما يفعله مولهو الأحمدية[2] – فقد أزال عقله وأذهب ماله ومعيشته ، وأشقى نفسه شقاء لا مزيد

=إلا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم واستكتمه أن لا يخرج منه ذلك إلا إلى من يخلفه من الأئمة المعصومين من ذريته حتى انتهى إلى محمد بن إسماعيل وزعموا أنه ليس في كتاب الله ناسخ ولا منسوخ وأنكروا القيامة والحشر والبعث والحساب والميزان والصراط والجنة والنار إلى غير ذلك من الضلال نعوذ بالله من الخذلان . البرهان مختصراً ص : ٤٧ .

(١)العنوان مضاف من المحقق .

(٢) الأحمدية .

إحدى طرق الصوفية كانت لهم أحوال شيطانية يتعاطونها في سماعاتهم وقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جزءاً في طريقة الأحمدية وبين فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيلاتهم وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب والسنة .

وأظهر الله السنة على يديه وأخمد بدعتهم ولله الحمد والمنة البداية والنهاية (٣٦/١٤) أحداث سنة ٧٠٥ .

عليه ، وعرض نفسه لعذاب الله في الآخرة لما تركه من الواجبات وما فعله من المحرمات ، فذلك إن قصد تسخير الجن بالأسماء والكلمات من الأقسام والعزائم فقد عرض نفسه لعقوبتهم ومحاربتهم ، بل لو لم يكن الخارق إلا دلالة صاحب المال المسروق والضال على ماله أو شفاء المريض أو دفع العدو من السلطان والمحاربين – فهذا القدر إذا فعله الإنسان مع الناس و لم يكن عمله ديناً يتقرب به إلى الله كان كأنه قهرمان[1] للناس يحفظ أموالهم ، أو طبيب أو صيدلي يعالج أمراضهم ، أو أعوان سلطان يقاتلون عنه ، إذ عمله من جنس عمل أولئك سواء .

ومعلوم أن من سلك هذا المسلك على غير الوجه الديني فإنه يحابي بذلك أقواماً ولا يعدل بينهم ، وربما أعان الظلمة بذلك كفعل بلعام وطوائف من هذه الأمة وغيرهم . وهذا يوجب له عداوة الناس التي هي من أكثر أسباب مضرة الدنيا ، ولا يجوز أن يحتمل المرء ذلك إلا إذا أمر الله به ورسوله لأن ما أمر الله به ورسوله وإن كان فيه مضرة فمنفعته غالبة على مضرته والعاقبة للتقوى .

(**السادس**) أن الدين علماً وعملاً إذا صح فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه . قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّءَاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ** ﴾[5] .

---

(١) أي خادم .

(٢) سورة الطلاق : الآية (٢ ، ٣) .

(٣) سورة الأنفال : الآية (٢٩) .

(٤) سورة النساء : الآيات (٦٦ – ٦٨) .

(٥) سورة يونس : الآيتان (٦٢ : ٦٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله[1] – ثم قرأ قوله تعالى – ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ » رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد .

وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله ﷺ :« من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه » فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه ، وفيه أن محبوبه به يعلم سمعاً وبصراً ، وبه يعمل بطشاً

---

(١) حديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » حديث ضعيف .

الترمذي (٢٩٨/٥) رقم ٣١٢٧ عن أبي سعيد وقال هذا حديث غريب وابن جرير (٣١/١٤) .

وفيه عطية العوفى قال فى الميزان وقال أحمد بلغنى أنه كان يأتى الكلبى فيأخذ عنه التفسير وكان يكنى بأبى سعيد فيقول قال أبو سعيد قال الذهبى يعنى يوهم أنه الخدرى وقال النسائى وجماعة ضعيف .

قلت وكلام الذهبى يعنى أنه مدلس خاصة أن الحديث عن أبى سعيد علاوة على ضعفه .

والحديث رواه بن جرير أيضا (٣٢/٣٤) وفيه فرات بن السائب قال البخارى منكر الحديث وقال بن معين ليس بشىء وقال الدارقطنى وغيره ليس بشىء « كما فى الميزان » .

وعنده أيضا (٣٢/٣٤) بلفظ احذروا فراسة المؤمن وفيه أسد بن وداعة قال الذهبى من صغار التابعين ناصبى يسب وفيه أيضا مؤمل بن سعيد بن يوسف وسليمان بن سلمة قال بن أبي حاتم عن كل منهما منكر الحديث . قاله الذهبى وذكر لسليمان بن سلمة حديثا موضوعا بعد أن ذكر قول النسائى عنه ليس بشىء وقول ابن عدى له غير حديث منكر والله أعلم .

وسعياً ، وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ، ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار . وهذا باب واسع .

ارتباط الخوارق بالدين أو عدمه وموقف كل منهما[1] :

وأما الخوارق فقد تكون مع الدين وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه .

(**السابع**) أن الدين هو إقامة حق العبودية وهو فعل ما عليك وما أمرت به ، وأما الخوارق فهي من حق الربوبية إذا لم يؤمر العبد بها ، وإن كانت بسعي من العبد فإن الله هو الذي يخلقها بما ينصبه من الأسباب ، والعبد ينبغي له أن يهتم بما عليه وما أمر به ، وأما اهتمامه بما يفعله الله إذا لم يؤمر بالاهتمام به فهو إما فضول فتكون لما فيها من المنافع كالمنافع السلطانية المالية التي يستعان بها على الدين كتكثير الطعام والشراب وطاعة الناس إذا رأوها . ولما فيها من دفع المضار عن الدين بمنزلة الجهاد الذي فيه دفع العدو وغلبته .

ثم هل الدين محتاج إليها في الأصل ، ولأن الإيمان بالنبوة لا يتم إلا بالخارق أو ليس بمحتاج في الخاصة بل في حق العامة ؟ هذا نتكلم عليه .

---

(١)العنوان مضاف من المحقق .

وأنفع الخوارق الخارق الديني وهو حال نبينا محمد ﷺ. قال ﷺ: « ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلّي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » أخرجاه في الصحيحين . وكانت آيته هي دعوته وحجته بخلاف غيره من الأنبياء . ولهذا نجد كثيراً من المنحرفين منا إلى العيسوية[1] يفرون من القرآن والقال إلى الحال ، كما أن المنحرفين منا إلى الموسوية[2] يفرون من الإيمان والحال إلى القال ، ونبينا ﷺ صاحب القال والحال ، وصاحب القرآن والإيمان .

---

(١) العيسوية : نسبوا إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني وقيل اسمه عوفيد الوهيم أى عابد الله كان في زمان المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا له آيات ومعجزات وقيل إنه لما حارب أصحاب المنصور بالرى قتل وقتل أصحابه وزعم عيسى أنه نبى وأنه رسول المسيح المنتظر وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد وزعم أن الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بنى إسرائيل من أيدى الأمم العاصين والملوك الظالمين وزعم أن المسيح أفضل ولد آدم وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين وإذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضا وحرم الذبائح كلها ونهى عن أكل كل ذى روح على الإطلاق وأوجب عشر صلوات وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكبيرة المذكورة فى التوراة . انتهى من الملل والنحل (٤٥/٢ ، ٤٦) .

(٢) الموسوية : هم الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر ثم زعموا أن الإمام بعده كان ابنه موسى وزعموا أنه لم يمت وأنه المهدى المنتظر وقالوا إنه دخل دار الرشيد ولم يخرج منها وقد علمنا إمامته وشككنا فى موته . ويقال لهذه الفرقه موسوية لانتظارها موسى بن جعفر ويقال لها أيضا الممطورة لأن يونس بن عبد الرحمن العمُى كان من القطيعية (الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر) ناظر بعض الموسوية فقال فى بعض كلامه أنتم أهون على عينى من الكلاب الممطورة (أنظر الفرق بين الفرق ص ٤٦) وقيل إن الذى سماهم بذلك على بن اسماعيل كما فى الملل والنحل (٧/٢) فى ترجمة الموسوية .

ثم بعده الخارق المؤيد للدين المعين له ، لأن الخارق في مرتبة ﴿ إياك نستعين ﴾ والدين في مرتبة ﴿ إياك نعبد ﴾ فأما الخارق الذي لم يعن الدين فإما متاع دنيا أو مبعد صاحبه عن الله تعالى .

الخوارق في نفعها بالدين وله وضررهما في سواه كالرياسة والمال[1] :

فظهر بذلك أن الخوارق النافعة تابعة للدين حادثة له كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين ، وكذلك المال النافع ، كما كان السلطان والمال بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعًا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل فهو يشبه بمن يأكل الدنيا بالدين ، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة .

والعجب أن كثيراً ممن يزعم أن همه قد ارتفع وارتقى عن أن يكون دينه خوفاً من النار أو طلباً للجنة يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا ولعله يجتهد اجتهاداً عظيماً في مثله وهذا عرف ، ولكن منهم من يكون قصده بهذا تثبيت قلبه وطمأنينته وإيقانه بصحة طريقه وسلوكه ، فهو يطلب الآية علامة وبرهاناً على صحة دينه ، كما تطلب الأمم من الأنبياء الآيات دلالة على صدقهم ، فهذا أعذر لهم في ذلك .

ولهذا لما كان الصحابة رضي الله عنهم مستغنين في علمهم بدينهم وعملهم به عن الآيات بما رأوه من حال الرسول ونالوا من علم ، صار كل من كان عنهم أبعد مع صحة طريقته يحتاج إلى ما عندهم في علم دينه وعمله .

فيظهر مع الأفراد في أوقات الفترات وأماكن الفترات من الخوارق ما لا يظهر لهم ولا لغيرهم من حال ظهور النبوة والدعوة .

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

فصل

طرق العلم بالكائنات وكشفها والعلم بالدين بقسميه الخبر والإنشاء :[1]

العلم بالكائنات وكشفها له طرق متعددة : حسية وعقلية وكشفية وسمعية ضرورية ونظرية وغير ذلك ، وينقسم إلى قطعي وظني وغير ذلك ، وسنتكلم إن شاء الله تعالى على ما يتبع منها وما لا يتبع في الأحكام الشرعية ، أعني الأحكام الشرعية على العلم بالكائنات من طريق الكشف يقظة ومنامًا كما كتبه في الجهاد .

أما العلم بالدين وكشفه فالدين نوعان : أمور خبرية اعتقادية وأمور طلبية عملية . **فالأول** كالعلم بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، ويدخل في ذلك أخبار الأنبياء وأممهم ومراتبهم في الفضائل ، وأحوال الملائكة وصفاتهم وأعمالهم ، ويدخل في ذلك صفة الجنة والنار ، وما في الأعمال من الثواب والعقاب ، وأحوال الأولياء والصحابة وفضائلهم ومراتبهم وغير ذلك .

وقد يسمى هذا النوع أصول دين ، ويسمى العقد الأكبر ، ويسمى الجدال فيه بالعقل كلاماً . ويسمى عقائد واعتقادات ، ويسمى المسائل العلمية والمسائل الخبرية ، ويسمى علم المكاشفة .

(**والثاني**) الأمور العلمية الطلبية من أعمال الجوارح والقلب كالواجبات والمحرمات والمستحبات والمكروهات والمباحات ، فإن الأمر والنهي قد يكون بالعلم والاعتقاد ، فهو من جهة كونه علماً واعتقاداً أو خبراً صادقاً أو كاذباً يدخل في القسم الأول ، ومن جهة كونه مأموراً به أو منهيًّا عنه يدخل في القسم الثاني ، مثل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فهذه الشهادة من جهة كونها صادقة مطابقة لمخبرها فهي من القسم الأول ، ومن جهة أنها فرض واجب وأن صاحبها بها يصير مؤمناً يستحق الثواب ، وبعدمها يصير كافراً يحل دمه وماله ، فهي من القسم الثاني .

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

المتفق عليه والمختلف فيه من طرق العلم بالدين :[1]

وقد يتفق المسلمون على بعض الطرق الموصلة إلى القسمين كاتفاقهم على أن القرآن دليل فيهما في الجملة ، وقد يتنازعون في بعض الطرق كتنازعهم في أن الأحكام العلمية من الحسن والقبيح والوجوب والحظر هل تعلم بالعقل كما تعلم بالسمع أم لا تعلم إلا بالسمع ؟ وأن السمع هل هو منشأ الأحكام أو مظهر لها كما هو مظهر للحقائق الثابتة بنفسها ؟ وكذلك الاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع على المسائل الكبار في القسم الأول ، مثل مسائل الصفات والقدر وغيرهما مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف ، وأبى ذلك كثير من أهل البدع المتكلمين بما عندهم على أن السمع لا يثبت إلا بعد تلك المسائل فإثباتها بالسمع . . . . . حتى يزعم كثير من القدرية والمعتزلة[2] أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن على حكمة الله وعدله وأنه خالق كل شيء وقادر على كل

---

(١)عنوان مضاف من المحقق .

(٢)القدرية : فرقة نفت عن الله عز وجل صفاته الأزلية وقالت بأنه ليس لله عز وجل علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا صفة أزلية وزادوا على ذلك أن الله تعالى لم يكن له فى الأزل اسم ولا صفة وقالوا باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار وزعموا أنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره وكلهم يزعمون أن كلام الله حادث وأكثرهم يسمونه مخلوقاً وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر والضر والنفع والطاعة والمعصية والهدى والضلال وأن العباد يعملون بدءاً من غير أن يكون سبق لهم ذلك من الله عز وجل أو فى علمه وقولهم يضارع قول المجوسية ولأجل هذا سماهم المسلمون قدرية واتفقوا على دعواهم فى الفاسق من أمة الإسلام بالمنزلة بين المنزلتين وهى أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر ولأجل هذا سماهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . انظر السنة للإمام أحمد ص ٨١ ، والفرق بين الفرق ص ٩٣ ، ٩٤ .

والمعتزلة : هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية ويكذبون بعذاب القبر والشفاعة والحوض ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة ولا الجمعة إلا وراء من كان على أهوائهم وتجعل المعتزلة أصول دينهم خمسة : التوحيد الذي هو سلب الصفات والعدل الذى هو التكذيب بالقدر والمنزلة بين المنزلتين وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى فيه قتال الأئمة . ولهذا يسمون أيضا أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية . انظر فى ذلك كتاب السنة للإمام أحمد ص ٨١ ، والملل والنحل ص (١/٥٠) وتلبيس إبليس ص ٣٠ .

شيء ، وتزعم الجهمية[1] من هؤلاء ومن اتبعهم من بعض الأشعرية[2] وغيرهم أنه لا يصح الاستدلال بذلك على علم الله وقدرته وعبادته ، وأنه مستوٍ على العرش .

ويزعم قوم من غالية أهل البدع أنه لا يصح الاستدلال بالقرآن والحديث على المسائل القطعية مطلقاً بناء على أن الدلالة اللفظية لا تفيد اليقين بما زعموا .

ويزعم كثير من أهل البدع أنه لا يستدل بالأحاديث المتلقاة بالقبول على مسائل الصفات والقدر ونحوهما مما يطلب فيه القطع واليقين .

ويزعم قوم من غالية المتكلمين أنه لا يستدل بالإجماع على شيء ، ومنهم من يقول لا يصح الاستدلال به على الأمور العلمية لأنه ظني . وأنواع من هذه المقالات التي ليس هذا موضعها .

فإن طرق العلم والظن وما يتوصل به إليهما من دليل أو مشاهدة ، باطنة أو ظاهرة ، عام أو خاص ، فقد تنازع فيه آدم تنازعاً كثيراً .

---

(١) والجهمية : هم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المادنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية . ووافق المعتزلة فى نفس الصفات الأزلية وزاد عليها أشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى التشبيه فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط وقال لا يجوز أن يعلم (أى الله) الشيء قبل خلقه وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان . . . إلى غير ذلك من الضلال . انظر الملل والنحل ص (٩٠ ، ٩١/ ١) والفرق بين الفرق ص ١٩٩ .

(٢) الأشعرية : أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى المنتسب إلى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه وكان من المعتزلة ثم خرج عليهم وناقضهم فى جميع أصولهم التى كان خبيراً بها وقال قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا وما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين [وألف فى عقيدة أهل السنة والجماعة الإبانه ومقالات الإسلاميين] انظر الملل والنحل (١/٩٧) والفرقان بين الحق والباطل ص ١٧ .

الدلائل العقلية والنقلية والكشفية وغلو الفرق في كل منها :[1]

وكذلك كثير من أهل الحديث والسنة قد ينفي حصول العلم لأحد بغير الطريق التي يعرفها ، حتى ينفي أكثر الدلالات العقلية من غير حجة على ذلك . وكذلك الأمور الكشفية التي للأولياء ، من أهل الكلام من ينكرها ، ومن أصحابنا من يغلو فيها ، وخيار الأمور أوساطها .

فالطريق العقلية والنقلية والكشفية والخبرية والنظرية طريقة أهل الحديث وأهل الكلام وأهل التصوف قد تجاذبها الناس نفياً وإثباتاً ، فمن الناس من ينكر منها ما لا يعرفه ، ومن الناس من يغلو فيما يعرفه ، فيرفعه فوق قدره وينفي ما سواه . فالمتكلمة والمتفلسفة تعظم الطرق العقلية وكثير منها فاسد متناقض وهم أكثر خلق الله تناقضاً واختلافاً ، وكل فريق يرد على الآخر فيما يدعيه قطعيًّا .

وطائفة ممن تدعي السنة والحديث يحتجون فيها بأحاديث موضوعة وحكايات مصنوعة يعلم أنها كذب . وقد يحتجون بالضعيف في مقابلة القوي ، وكثير من المتصوفة والفقراء يبني على منامات وأذواق وخيالات يعتقدها كشفًا وهي خيالات غير مطابقة ، وأوهام غير صادقة ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا ﴾[2] فنقول :

أدلة الشرع المجمع عليها والمختلف فيها وأقسامها :[3]

أما طرق الأحكام الشرعية التي نتكلم عليها في أصول الفقه فهي – بإجماع المسلمين : (**الأول**) الكتاب ، لم يختلف أحد من الأئمة في ذلك كما خالف بعض أهل الضلال في الاستدلال على بعض المسائل الاعتقادية .

(**والثاني**) السنة المتواترة التي لا تخالف ظاهر القرآن بل تفسره ، مثل أعداد الصلاة وأعداد ركعاتها ، ونُصُب الزكاة وفرائضها ، وصفة الحج والعمرة وغير ذلك من الأحكام التي لم تعلم إلا بتفسير السنة .

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) سورة النجم : الآية (٢٨) .

(٣) عنوان مضاف من المحقق .

وأما السنة المتواترة التي لا تفسر ظاهر القرآن ، أو يقال تخالف ظاهرة كالسنة في تقدير نصاب السرقة ورجم الزاني وغير ذلك ، فمذهب جميع السلف العمل بها أيضًا إلا الخوارج ، فإن من قولهم – أو قول بعضهم – مخالفة السنة ، حيث قال أولهم للنبي ﷺ في وجهه : إن هذه القسمة ما أريد بها وجه[1] الله . ويحكى عنهم أنهم لا يتبعونه ﷺ إلا فيما بلغه عن الله من القرآن والسنة المفسرة له ، وأما ظاهر القرآن إذا خالفه الرسول فلا يعملون إلا بظاهره ، ولهذا كانوا مارقة مرقوا من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية . وقال النبي ﷺ لأولهم « لقد خِبتُ وخسرْتُ إن لم أعدل » فإذا جوز أن الرسول يجوز أن يخون ويظلم فيما ائتمنه الله عليه من الأموال ، وهو معتقد أنه أمين الله على وحيه ، فقد اتبع ظالمًا كاذبًا وجوز أن يخون ويظلم فيما ائتمنه من المال من هو صادق أمين فيما ائتمنه الله عليه من خبر السماء ، ولهذا قال النبي ﷺ : « أيأمنني من في السماء ولا تأمنوني ؟ » أو كما قال ، يقول ﷺ إن أداء الأمانة في الوحي أعظم . والوحي الذي أوجب الله طاعته هو للوحي بحكمه وقسميه .

وقد ينكر هؤلاء كثيرًا من السنن طعنًا في النقل لا ردًّا للمنقول كما ينكر كثير من أهل البدع السنن المتواترة عند أهل العلم كالشفاعة والحوض والصراط والقدر وغير ذلك .

(**الطريق الثالث**) السنن المتواترة عن رسول الله ﷺ ، إما متلقاة بالقبول من أهل العلم بها ، أو برواية الثقات لها . وهذه أيضًا مما اتفق أهل العلم على اتباعها من أهل الفقه والحديث والتصوف وأكثر أهل العلم ، وقد أنكرها بعض أهل الكلام ، وأنكر كثير منهم أن يحصل العلم بشيء منها وإنما يوجب العلم ، فلم يفرقوا بين المتلقى بالقبول وغيره ، وكثير من أهل الرأي قد ينكر كثيرًا منها بشروط اشترطها ، ومعارضات دفعها بها ووضعها ، كما يرد بعضهم بعضًا ، لأنه بخلاف ظاهر القرآن فيما زعم ، أو لأنه

---

(١) حديث إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله « حديث صحيح » .
البخارى (٦/٥٠٣) رقم ٣٤٠٥ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه ومسلم (٣/ ٧٣٩) وأحمد (١/ ٤١١) .

خلاف الأصول ، أو قياس الأصول ، أو لأن عمل متأخري أهل المدينة على خلافه أو غير ذلك من المسائل المعروفة في كتب الفقه والحديث وأصول الفقه .

الخلاف في السنن المتلقاة بالقبول وفي الإجماع والقياس :[1]

(**الطريق الرابع**) الإجماع وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة ، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة[2]، لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة ، وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالبًا ، ولهذا اختلف أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة واختلف في مسائل منه كإجماع التابعين على أحد قولي الصحابة ، والإجماع الذي لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم ، والإجماع السكوتي وغير ذلك .

(**الطريق الخامس**) القياس على النص والإجماع ، وهو حجة أيضًا عند جماهير الفقهاء ، لكن كثيرًا من أهل الرأي أسرف فيه حتى استعمله قبل البحث عن النص ،

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده قالوا وليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة بل هي قضية أصولية هو ركن الدين لا يجوز للرسول إغفاله وإهماله وتفويضه إلى العامة ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأئمة من الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا وعقداً إلا فى حال التقية ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك وهم خمس فرق كيسانيه وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه . ومنهم من يقول برجعة الأموات إلى الدنيا قبل الحساب ومنهم من أله علياً رضى الله عنه فحرَّق بعضهم ونفى بعضهم واكثرهم كفَّر من حارب علياً واعتبروا أن الأمة ارتدت بتركها إمامته رضى الله عنها إلى غير ذلك من الضلال نعوذ بالله من الخذلان انظر الملل والنحل (١/١٥١ وما بعدها) والبرهان (٣٦) .

وحتى رد به النصوص ، وحتى استعمل منه الفاسد ، ومن أهل الكلام وأهل الحديث وأهل القياس من ينكره رأسًا ، وهي مسألة كبيرة والحق فيها متوسط بين الإسراف والنقض .

(**الطريق السادس**) الاستصحاب ، وهو البقاء على الأصل فيما لم يُعلم ثبوته وانتفاؤه بالشرع ، وهو حجة على عدم الاعتقاد بالاتفاق ، وهل هو حجة في اعتقاد العدم ؟ فيه خلاف ، ومما يشبهه الاستدلال بعدم الدليل السمعي على عدم الحكم الشرعي ، مثل أن يقال : لو كانت الأضحية أو الوتر واجبًا لنصب الشرع عليه دليًّلا شرعيًّا ، إذ وجوب هذا لا يعلم بدون الشرع ، ولا دليل ، فلا وجوب .

فالأول يبقى على نفي الوجوب والتحريم المعلوم بالعقل حتى يثبت المغير له . وهذا استدلال بعدم الدليل السمعي المثبت على عدم الحكم ، إذ يلزم من ثبوت مثل هذا الحكم ثبوت دليله السمعي ، كما يستدل بعدم النقل لما تتوفر الهمم والدواعي على نقله وما توجب الشريعة نقله ، وما يعلم من دين أهلها وعادتهم أنهم ينقلونه على أنه لم يكن ، كالاستدلال بذلك على عدم زيادة في القرآن وفي الشرائع الظاهرة وعدم النص الجلي بالإمامة على علي أو العباس أو غيرهما ، ويعلم الخاصة من أهل العلم بالسنن والآثار وسيرة النبي ﷺ وخلفائه انتفاء أمور من هذا ، لا يعلم انتفاءها غيرهم ، ولعلمهم بما ينفيها من أمور منقولة يعلمونها هم ، ولعلمهم بانتفاء لوازم نقلها ؛ فإن وجود أحد الضدين ينفي الآخر ، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم .

الخلاف في دلالة المصالح المرسلة :[1]

(**الطريق السابع**) المصالح المرسلة ، وهو أن يرى المجتهد أن هذا الفعل يجلب منفعة راجحة ، وليس في الشرع ما ينفيه ، فهذه الطريق فيها خلاف مشهور ، فالفقهاء يسمونها المصالح المرسلة ، ومنهم من يسميها الرأي ، وبعضهم يقرب إليها الاستحسان ، وقريب منها ذوق الصوفية ووجدهم وإلهاماتهم[2] ، فإن حاصلها أنهم

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) وقد يكون هذا غالبا من إلهامات الشيطان .

يجدون في القول والعمل مصلحة في قلوبهم وأديانهم ويذوقون طعم ثمرته ، وهذه مصلحة ، لكن بعض الناس يخص المصالح المرسلة بحفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان . وليس كذلك ، بل المصالح المرسلة في جلب المنافع وفي دفع المضار ، وما ذكروه من دفع المضار عن هذه الأمور الخمسة فهو أحد القسمين .

وجلب المنفعة يكون في الدنيا وفي الدين ، ففي الدنيا كالمعاملات والأعمال التي يقال فيها مصلحة للخلق من غير حظر شرعي ، وفي الدين ككثير من المعارف والأحوال والعبادات والزهادات التي يقال فيها مصلحة للإنسان من غير منع شرعي . فمن قصر المصالح على العقوبات التي فيها دفع الفساد عن تلك الأحوال ليحفظ الجسم فقط فقد قصر .

وهذا فصل عظيم ينبغي الاهتمام به فإن من جهته حصل في الدين اضطراب عظيم ، وكثير من الأمراء والعلماء والعباد رأوا مصالح فاستعملوها بناء على هذا الأصل وقد يكون منها ما هو محظور في الشرع و لم يعلموه ، وربما قدم على المصالح المهدية كلامًا بخلاف النصوص ، وكثر منهم من أهمل مصالح يجب اعتبارها شرعًا بناء على أن الشرع لم يرد بها ، ففوت واجبات ومستحبات ، أو وقع في محظورات ومكروهات ، وقد يكون الشرع ورد بذلك و لم يعلمه .

وحجة الأول : أن هذه مصلحة والشرع لا يهمل المصالح ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على اعتبارها ، وحجة الثاني : أن هذا أمر لم يرد به الشرع نصًا ولا قياسًا .

تحقيق القول في مسألة المصالح والاستحسان وما في معناهما[1] :

والقول بالمصالح المرسلة يشرع من الدين ما لم يأذن به الله . وهي تشبه من بعض الوجوه مسألة الاستحسان والتحسين العقلي والرأي ونحو ذلك ، فإن الاستحسان

---

(١) عنوان من المحقق .

طلب الحسن والأحسن كالاستخراج ، وهو رؤية الشيء حسنًا كما أن الاستقباح رؤيته قبيحًا ، والحسن هو المصلحة ، فالاستحسان والاستصلاح متقاربان ، والتحسين العقلي قول بأن العقل يدرك الحسن ، لكن بين هذه فروق .

والقول الجامع إن الشريعة لا تهمل مصلحة قط ، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين وأتم النعمة ، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا به النبي ﷺ وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له ، إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر أو أنه ليس بمصلحة ، أو اعتقد مصلحة لأن المصلحة هي المنفعة الحاصلة أو الغالبة ، وكثيرًا ما يتوهم الناس أن الشيء ينفع في الدين والدنيا ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة ، كما قال تعالى في الخمر والميسر : ﴿ **قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾[1] .

اختلاف أهواء الناس في المنافع والمضار والمصالح والمفاسد دنيا ودينًا وموقف العقل[2] :

وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام وأهل التصوف وأهل الرأي وأهل الملك حسبوه منفعة أو مصلحة نافعًا وحقًا وصوابًا ولم يكن كذلك ، بل كثير من الخارجين عن الإسلام من اليهود والنصارى والمشركين والصابئين والمجوس يحسب كثير منهم أن ما هم عليه من الاعتقادات والمعاملات والعبادات مصلحة لهم في الدين والدنيا ، ومنفعة لهم ، فقد ﴿ **ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾[3] وقد زين لهم سوء عملهم فرأوه حسنًا . فإذا كان الإنسان يرى حسنًا ما هو سيء كان استحسانه او استصلاحه قد يكون من هذا الباب . وهذا بخلاف الذين جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًّا . فإن باب جحود الحق ومعاندته من باب جهله والعمى عنه ، والكفار فيهم هذا وفيهم هذا ، وكذلك في أهل الأهواء من

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢١٩) .

(٢) عنوان مضاف من المحقق .

(٣) سورة الكهف : الآية (١٠٤) .

المسلمين القسمان . فإن الناس كما أنهم في باب الفتوى والحديث يخطئون تارة ويتعمدون الكذب أخرى ، فكذلك هم في أحوال الديانات ، وكذلك في الأفعال قد يفعلون ما يعلمون أنه ظلم ، وقد يعتقدون أنه ليس بظلم وهو ظلم ، فإن الانسان كما قال الله تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1] فتارة يجهل وتارة يظلم : ذلك في قوة علمه ، وهذا في قوة عمله .

واعلم أن هذا الباب مشترك بين أهل العلم والقول ، وبين أهل الإرادة والعمل ، فذلك يقول هذا جائز أو حسن ، بناء على ما رآه ، وهذا ما يفعله من غير اعتقاد تحريمه أو اعتقاد أنه خير له كما يجد نفعًا في مثل السماع المحدث : سماع المكاء والتصدية واليراع التي يقال لها الشبابة والصفارة والأوتار وغير ذلك[2] ، وهذا يفعله لما يجده من لذته ، وقد يفعله لما يجده من منفعة دينه بزيادة أحواله الدينية كما يفعل مع القرآن .

وهذا يقول جائز لما يرى من تلك المصلحة والمنفعة ، وهو نظير المقالات المبتدعة . وهذا يقول هو حق لدلالة القياس العقلي عليه . وهذا يقول يجوز ويجب اعتقادها وإدخالها في الدين إذ كانت كذلك ، وكذلك سياسات ولاة الأمور من الولاة والقضاة وغير ذلك .

واعلم أنه لا يمكن العاقل أن يدفع عن نفسه أنه قد يميز بعقله بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ، وبين النافع والضار ، والمصلحة والمفسدة ، ولا يمكن المؤمن أن يدفع عن إيمانه أن الشريعة جاءت بما هو الحق والصدق في المعتقدات ، وجاءت بما هو النافع والمصلحة في الأعمال التي تدخل فيها الاعتقادات ، ولهذا لم يختلف الناس أن الحسن أو القبيح إذا فسر بالنافع والضار والملائم للإنسان والمنافي له واللذيذ والأليم - فإنه قد يعلم بالعقل ، هذا في الأفعال .

ما اتفق عليه واختلف فيه من الحسن والقبح والنفع والضر[3] :

وكذلك إذا فسر حسنه بأنه موجود أو كمال الموجود يوصف بالحسن . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وقوله : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ كما نعلم أن الحي أكمل من الميت في وجوده ، وأن العالم أكمل من الجاهل ، وأن الصادق أكمل من الكذب - فهذا أيضًا قد يعلم بالعقل . وانما اختلفوا في أن العقل هل يعتبر

---

(١) سورة الأحزاب : الآية (٧٢) .

(٢) تم بحمد الله إخراج كتاب حكم الإسلام في الغناء لابن القيم .

(٣) العنوان مضاف من المحقق .

المنفعة والمضرة . وأنه هل باب التحسين واحد في الخالق والمخلوق ؟

فأما الوجهان الأولان فثابتان في أنفسهما ، ومنهما ما يعلم بالعقل الأول فى الحقّ المقصود ، والثاني في الحق الموجود (الأول) متعلق بحب القلب وبغضه وإرادته وكراهته وخطابه بالأمر والنهي (الثاني) متعلق بتصديقه وتكذيبه وإثباته ونفيه وخطابه الخبري المشتمل على النفي والإثبات ، والحق والباطل يتناولان النوعين ، فإن الحق يكون بمعنى الموجود الثابت ، والباطل بمعنى المعدوم المنتفي ، والحق بإزاء ما ينبغي قصده وطلبه وعمله ، وهو النافع والباطل بإزاء مالا ينبغي قصده ولا طلبه ولا عمله وهو غير النافع . والمنفعة تعود إلى حصول النعمة واللذة والسعادة التي هي حصول اللذة ، ودفع الألم هو حصول المطلوب ، وزوال المرهوب حصول النعيم وزوال العذاب ، وحصول الخير وزوال الشر ، ثم الموجود والنافع قد يكون ثابتًا دائمًا وقد يكون منقطعًا لا سيما إذا كان زمنًا يسيرًا فيستعمل الباطل كثيرًا بإزاء ما لا يبقى من المنفعة ، وبإزاء ما لا يدوم من الوجود ، كما يقال الموت حق والحياة باطل وحقيقته أنه يستعمل بإزاء ما ليس من المنافع خالصًا أو راجحًا كما تقدم القول فيه فيما يزهد فيه ، وهو ما ليس بنافع ، والمنفعة المطلقة هي الخالصة أو الراجحة .

المنفعة المطلقة والراجحة[1] :

وأما ما يفوت أرجح منها أو يعقب ضررًا ليس هو دونها فإنها باطل في الاعتبار والمضرة أحق باسم الباطل من المنفعة .

وأما ما يظن فيه منفعة وليس كذلك أو يحصل به لذة فاسدة فهذا لا منفعة فيه بحال ، فهذه الأمور التي يشرع الزهد فيها وتركها وهي باطل ، ولذلك ما نهى الله عنه ورسوله باطل ممتنع أن يكون مشتملًا على منفعة خالصة أو راجحة . ولهذا صارت أعمال الكفار والمنافقين باطلة لقوله : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ﴾[2] الآية . أخبر أن صدقة المرائي والمنان باطلة لم يبق فيها منفعة له ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[3] وكذلك

---

(١) العنوان مضاف من المحقق .

(٢) سورة البقرة : الآية (٢٦٤) .

(٣) سورة محمد : الآية (٣٣) .

الإحباط في مثل قوله : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾[1] ولهذا تسميه الفقهاء العقود .

العبادات الصحيحة والباطلة[2] :

والعبادات بعضها صحيح وبعضها باطل وهو ما لم يحصل به مقصوده ولم يترتب عليه أثره ، فلم يكن فيه المنفعة المطلوبة منه ، ومن هذا قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾[3] الآية وقوله : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾[4] وقوله : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[5] ولذلك وصف الاعتقادات والمقالات بأنها باطلة ليست مطابقة ولا حقًّا كما أن الأعمال ليست نافعة .

وقد توصف الاعتقادات والمقالات بأنها باطلة إذا كانت غير مطابقة إن لم يكن فيها منفعة كقوله ﷺ : « اللهم إني أعوذُ بك من علم لا ينفع »[6] فيعود الحق فيما يتعلق بالإنسان إلى ما ينفعه من علم وقول وعمل وحال ، قال الله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) سورة المائدة : الآية (٥) .

(٢) العنوان مضاف من المحقق .

(٣) سورة النور : الآية (٣٩) .

(٤) سورة آل عمران : الآية (١١٧) .

(٥) سورة الفرقان : الآية (٢٣) .

(٦) حديث اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع « حديث صحيح » .
أحمد (١٩٢/٣) عن أنس رضى الله عنه وفيه قتادة مدلس وقد عنعن والحاكم (١٠٤/١) وقال صحيح على شرط مسلم وبلغت أن مسلم بن الحجاج أخرجه من حديث زيد بن أرقم .
وعنده أيضا من حديث بن عمرو وأبي هريرة رضى الله عنهما ومن حديث بن مسعود (٥٣٤/١) بسند فيه حميد الأعرج وهو متروك كما قال الذهبى فى الميزان .

مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا - إلى قوله - كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ - إلى قوله - كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾[2] .

وإذا كان كذلك وقد علم أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل حابط لا ينفع صاحبه وقت الحاجة اليه ، فكل عمل لا يُراد به وجه الله فهو باطل ، لأن ما لم يرد به وجهه إما أن لا ينفع بحال ، وإما أن ينفع في الدنيا أو في الآخرة . فالأول ظاهر وكذلك منفعته في الآخرة بعد الموت ، فإنه قد ثبت بنصوص المرسلين أنه بعد الموت لا ينفع الإنسان من العمل إلا ما أراد به وجه الله . وأما في الدنيا فقد يحصل له لذات وسرور ، وقد يجزى بأعماله في الدنيا ، لكن تلك اللذات إذا كانت تعقب ضررًا أعظم منها وتفوت أنفع منها وأبقاه ، فهي باطلة أيضًا ، فثبت أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل وإن كان فيه لذة ما .

الكائنات وهي تجمع الحق المقصود والحق الموجود[3] :

وأما الكائنات فقد كانت معدومة منفية فثبت أن أصدق[4] كلمة قالها شاعر كلمة لبيد : * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكما قال ﷺ : « أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وأنها تجمع الحق الموجود والحق المقصود ، وكل موجود بدون الله باطل ، وكل مقصود بدون قصد الله فهو باطل ، وعلى هذين

---

(١) سورة الرعد : الآية (١٧) .

(٢) سورة محمد : الآية (١ ، ٣) .

(٣) العنوان مضاف من المحقق .

(٤) حديث : أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » « حديث صحيح » البخاري(١٠/٥٥٣) رقم ٦١٤٧ من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ومسلم (١٥/١٢ ، ١٣) مع النووى .

وابن ماجه (٢/١٢٣٦) رقم ٣٧٥٧ .

وعند البخارى أيضا (١١/٣٢٨) رقم ٦٤٨٩ بلفظ أصدق بيت قاله شاعر ومسلم (١٥/١٣) .

فقد فسر قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾[1] إلا ما أريد به وجهه وكل شيء معدوم إلا من جهته . هذا على قول ، وأما القول الآخر وهو المأثور عن طائفة من السلف وبه فسر الإمام أحمد رحمه الله تعالى في رده على الجهمية والزنادقة قال أحمد : « وأما قوله : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ وذلك أن الله أنزل ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهاَ فَانٍ ﴾[2] فقالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، وطمعوا في البقاء ، فأنزل الله تعالى أنه يخبر عن أهل السموات والأرض أنكم تموتون فقال : كل شيء من الحيوان هالك — يعني ميتًا — إلا وجهه ، فإنه حي لا يموت ، فلما ذكر ذلك أيقنوا عند ذلك بالموت » ذكر ذلك في رده على الجهمية قولهم إن الجنة والنار تفنيان .

وقد تبين مما ذكرناه أن الحسن هو الحق والصدق والنافع والمصلحة والحكمة والصواب . وأن الشيء القبيح هو الباطل والكذب والضار والمفسدة والسفه والخطأ .

الاختلاف في أفعال الله وأفعال العباد من حيث الحسن وعدمه[3] :

وأما مواضع الاشتباه والنزاع واختلاف الخلائق فموضع واحد وذلك أن فعل الله كله حسن جميل ، قال الله عز وجل : ﴿ **ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[5] .

وقال النبي ﷺ : « **إن الله جميل يحب الجمال** »[6] وهو حكم عدل قال الله تعالى : ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ**

---

(١) سورة القصص : الآية (٨٨) .

(٢) سورة الرحمن : الآية (٢٦) .

(٣) عنوان مضاف من المحقق .

(٤) سورة النمل : الآية (٨٨) .

(٥) سورة الأعراف : الآية (١٨٠) .

(٦) حديث « إن الله جميل يحب الجمال » حديث صحيح .

مسلم (٩٣/١) رقم ١٤٧ من حديث علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه والترمذى (٣٦١/٤) رقم ١٩٩٩ وقال حديث حسن صحيح غريب وأحمد (١٣٣/٤ ، ١٣٤ ، ١٥١) والحاكم (١٨١/٤) وأخرجه من طريق أبي يحيى بن جعدة عن ابن مسعود وقال صحيح الإسناد وقد احتجا برواته ووافقه الذهبى وعند أحمد (١٦٩/٢ – ١٧٠) والحاكم (٢٦/١) من حديث ابن عمرو وقال على شرط مسلم .

(٧)سورة آل عمران : الآية (١٨) .

حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ وهذا كله متفق عليه بين الأمة مجملاً غير مفسر فإذا فسر تنازعوا فيه .

وذلك أن هذه الأعمال الفاسدة والآلام وهذا الشر الوجودي المتعلق بالحيوان ، وأنه لا يخلو عن أن يكون عملاً من الأعمال ، أو أن يكون ألمًا من الآلام الواقعة بالحيوان ، وذلك العمل القبيح والألم شره من ضرره ، وهذا العامل والمعالم . فالمعتزلة ومن اتبعها من الشيعة تزعم أن الأعمال ليست من خلقه ولا كونها شيئا ، وأن الآلام لا يجوز أن يفعلها إلا جزاء على عمل سابق . أو تعوض بنفع لا حق ، وكثير من أهل الإثبات ومن اتبعهم من الجبرية يقولون بل الجميع خلقه وهو يفعل ما يشاء ، ويحكم مايريد، ولا فرق بين خلق المضار والمنافع ، والخير والشر بالنسبة إليه . ويقول هؤلاء : إنه لا يتصور أن يفعل ظلمًا ولا سفهًا أصلًا ، بل لو فرض أنه فعل أي شيء كان فعله حكمة وعدلًا وحسنًا إذ لا قبيح إلا ما نهى عنه وهو لم ينهه أحد ، ويسوون بين تنعيم الخلائق وتعذيبهم ، وعقوبة المحسن ، ورفع درجات الكفار والمنافقين .

والفريقان متفقان على أنه لا ينتفع بطاعات العباد ولا يتضرر بمعصيتهم ، لكن الأولون يقولون : الإحسان إلى الغير حسن لذاته وإن لم يعد إلى المحسن منه فائدة .

والآخرون يقولون : ما حسن منا حسن منه ، وما قبح منا قبح منه ، والآخرون مع جمهور الخلائق ينكرون ، والأولون يقولون : إذا أمر بالشيء فقد أراده منا . لا يعقل الحسن والقبيح إلا ما ينفع أو يضر ، كنحو ما يأمر الواحد منا غيره بشيء فإنه لا بد أن يريده منه ويعينه عليه ، وقد أقدر الكفار بغاية القدرة ، ولم يبق بقدر على أن يجعلهم يؤمنون اختيارًا ، وإنما كفرهم وفسوقهم وعصيانهم بدون مشيئته واختياره . وآخرون يقولون : الأمر ليس بمستلزم الإرادة أصلًا ، وقد بينت التوسط بين هذين في غير هذا الموضع ، وكذلك أمره . والأولون يقولون لا يأمر إلا بما فيه مصلحة العباد ، والآخرون يقولون أمره لا يتوقف على المصلحة .

مقدمات مسلمات لتحقيق مسألة الحسن والقبح[2] :

وهنا مقدمات ، تكشف هذه المشكلات .

(**إحداها**) أنه ليس ما حسن منه حسن منا وليس ما قبح منه يقبح منا ، فإن المعتزلة شبهت الله بخلقه ، وذلك أن الفعل يحسن منا لجلبه المنفعة ، ويقبح لجلبه المضرة ،

---

(١) سورة النساء : الآية (٤٠).

(٢) العنوان مضاف من المحقق .

ويحسن لأنا أمرنا به ، ويقبح لأنا نهينا عنه ، وهذان الوجهان منتفيان في حق الله تعالى قطعًا ، ولو كان الفعل يحسن باعتبار آخر كما قال بعض الشيوخ :

ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا

(المقدمة الثانية) أن الحسن والقبح قد يكونان صفة لأفعالنا وقد يدرك بعض ذلك بالعقل ، وإن فسر ذلك بالنافع والضار والمكمل والمنقص ، فإن أحكام الشارع فيما يأمر به وينهي عنه تارة تكون كاشفة للصفات الفعلية ومؤكدة لها وتارة تكون مبينة للفعل صفات لم تكن له قبل ذلك ، وإن الفعل تارة يكون حسنه من جهة نفسه وتارة من جهة الأمر به وتارة من الجهتين جميعًا . ومن أنكر أن يكون للفعل صفات ذاتية لم يحسن إلا لتعلق الأمر به وأن الأحكام بمجرد نسبة الخطاب إلى الفعل فقط ، فقد أنكر ما جاءت به الشرائع من المصالح والمفاسد والمعروف والمنكر وما في الشريعة من المناسبات بين الأحكام وعللها ، وأنكر خاصة الفقه في الدين الذي هو معرفة حكمة الشريعة ومقاصدها ومحاسنها .

(المقدمة الثالثة) أن الله خلق كل شيء وهو على كل شيء قدير ومن جعل شيئًا من الأعمال خارجًا عن قدرته ومشيئته فقد ألحد في أسمائه وآياته بخلاف ما عليه القدرية .

(المقدمة الرابعة) أن الله إذا أمر العبد بشيء فقد أراده منه إرادة شرعية دينية وإن لم يرده منه إرادة قدرية كونية فإثبات إرادته في الأمر مطلقًا خطأ ونفيها عن الأمر مطلقًا خطأ وإنما الصواب التفصيل كما جاء في التنزيل ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ وقال : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[1] وقال : ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾[2] وقال : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾[3] وأمثال ذلك كثير .

(المقدمة الخامسة) أن محبته ورضاه مستلزم للإرادة الدينية والأمر الديني وكذلك بغضه وغضبه وسخطه مستلزم لعدم الإرادة الدينية فالمحبة والرضا والغضب والسخط ليس هو مجرد الإرادة .

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١٢٥) .

(٢) سورة المائدة : الآية (٤١) .

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٥٣) .

هذا قول جمهور أهل السنة . ومن قال إن هذه الأمور بمعنى الإرادة كما يقوله كثير من القدرية وكثير من أهل الإثبات فإنه يستلزم أحد أمرين ، إما الكفر والفسوق والمعاصي مما يكرهها دينًا فقد كره كونها وأنها واقعة بدون مشيئته وإرادته . وهذا قول القدرية ، أو يقول إنه لما كان مريدًا لها شاءها فهو محب لها راض بها كما تقوله طائفة من أهل الإثبات ، وكلا القولين فيه ما فيه ، فإن الله تعالى يحب المتقين ويحب المقسطين وقد رضي عن المؤمنين ، ويحب ما أمر به أمر إيجاب واستحباب ، وليس هذا المعنى ثابتًا في الكفار والفجار والظالمين ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب كل مختال فخور ، ومع هذا فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وأحسن ما يعتذر به من قال هذا القول من أهل الإثبات : أن المحبة بمعنى الإرادة أنه أحبها كما أرادها كونا ، فكذلك أحبها ورضيها كونًا ، وهذا فيه نظر مذكور في غير هذا الموضع .

الفرق بين أمر الرب ونهيه لعباده وأمرهم ونهيهم لعبيدهم وخدمهم[1] :

(فإن قيل) تقسيم الإرادة لا يعرف في حقنا بل إن الأمر منه بالشيء إما أن يريده أو لا يريده ، وأما الفرق بين الإرادة والمحبة فقد يعرف في حقنا (فيقال) وهذا هو الواجب فإن الله تعالى ليس كمثله شيء ، وليس أمره لنا كأمر الواحد منا لعبده وخدمه ، وذلك أن الواحد منا إذا أمر عبده فإما أن يأمره لحاجته إليه أو إلى المأمور به ، أو لحاجته إلى الأمر فقط ، فالأول كأمر السلطان جنده بما فيه حفظ ملكه ومنافعهم له ، فإن هداية الخلق وإرشادهم بالأمر والنهي هي من باب الإحسان إليهم ، والمحسن من العباد يحتاج إلى إحسانه قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾[2] وقال : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[3] .

---

(١) العنوان مضاف من المحقق .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٧) .

(٣) سورة فصلت : الآية (٤٦) .

والله تعالى لم يأمر عباده لحاجته إلى خدمتهم ولا هو محتاج إلى أمرهم وإنما أمرهم إحسانًا منه ونعمة أنعم بها عليهم ، فأمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم . وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب من أعظم نعمه على خلقه كما قال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[2] وقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾[3] فمن أنعم الله عليه مع الأمر بالامتثال فقد تمت النعمة فى حقه كما قال : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾[4] وهؤلاء هم المؤمنون ، ومن لم ينعم عليه بالامتثال بل خذله حتى كفر وعصى فقد شقي لما بدل نعمة الله كفرًا كما قال : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾[5] والأمر والنهي الشرعيان لما كانا نعمة ورحمة عامة لم يضر ذلك عدم انتفاع بعض الناس بهما من الكفار ، كإنزال المطر وإنبات الرزق هو نعمة عامة وإن تضرر بها بعض الناس لحكمة أخرى ، كذلك مشيئته لما شاءه من المخلوقات وأعيانها وأفعالها لا يوجب أن يحب كل شيء منها فإذا أمر العبد بأمر فذاك إرشاد ودلالة ، فإن فعل المأمور به صار محبوبًا لله وإلا لم يكن محبوبًا له وإن كان مرادًا له ، وإرادته له تكوينًا لمعنى آخر . فالتكوين من غير التشريع .

ما تقتضيه المحبة والرضا من الملاءمة وضدها من المنافرة[6] :

(فإن قيل) المحبة والرضا يقتضيان ملاءمة ومناسبة بين المحب والمحبوب ويوجب للمحب بدرك محبوبه فرحًا ولذة وسرورًا ، وكذلك البغض لا يكون إلا عن منافرة بين المبغِض والمبغَض ، وذلك يقتضي للمبغض بدرك المبغض أذى وبغضًا ونحو ذلك ، والملاءمة والمنافرة تقتضي الحاجة ، إذ ما لا يحتاج الحي إليه لا يحبه ، وما لا يضره كيف يبغضه ؟ والله غني لا تجوز عليه الحاجة ، إذ لو جازت عليه

---

(١) سورة الأنبياء : الآية (١٠٧) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٦٤) .

(٣) سورة يونس : الآية (٥٧ ، ٥٨) .

(٤) سورة المائدة : الآية (٣) .

(٥) سورة إبراهيم : الآية (٢٨) .

(٦) العنوان مضاف من المحقق .

الحاجة للزم حدوثه وإمكانه وهو غني عن العالمين ، وقد قال تعالى (أي في الحديث القدسي) : « **ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني** »[1] فلهذا فسرت المحبة والرضا بالإرادة إذ يفعل النفع والضر . فيقال الجواب من وجهين :

(**أحدهما**) الإلزام وهو أن نقول : الإرادة لا تكون إلا للمناسبة بين المريد والمراد وملاءمته في ذلك تقتضي الحاجة ، وإلا فما لا يحتاج إليه الحي لا ينتفع به ولا يريده ، ولذلك إذا أراد به العقوبة والإضرار لا يكون إلا لنفرة وبغض ، وإلا فما لم يتأ لم به الحي أصلًا لا يكرهه ولا يدفعه ، وكذلك نفس نفع الغير وضرره هو في الحي متنافر من الحاجة ، فإن الواحد منا إنما يحن إلى غيره لجلب منفعة أو لدفع مضرة ، وإنما يضر غيره لجلب منفعة أو دفع مضرة ، فإذا كان الذي يثبت صفة وينفي أخرى يلزمه فما أثبته نظير مايلزمه فيما نفاه لم يكن إثبات أحدهما ونفي الأخرى أولى من العكس ، ولو عكس عاكس فنفى ما أثبته من الإرادة وأثبت ما نفاه من المحبة لما ذكره لم يكن بينهما فرق ، وحينئذ فالواجب إما نفي الجميع ولا سبيل إليه للعلم الضروري بوجود نفع الخلق والإحسان إليهم وإن ذلك يستلزم الإرادة ، وإما إثبات الجميع كما جاءت به النصوص ، وحينئذ فمن توهم أنه يلزم من ذلك محذور أو أحد الأمرين لازم : إما أن ذلك المحذور لا يلزم أو أنه إن لزم فليس بمحذور .

الجواب عما ذكر من لزوم المحذور في الإيراد :[2]

(الجواب الثاني) أن الذي يعلم قطعًا (هو) أن الله قديم واجب الوجود كامل . وأنه لا يجوز عليه الحدوث ولا الإمكان ولا النقص ، لكن كون هذه الأمور التي جاءت بها النصوص مستلزمة للحدوث والإمكان أو النقص هو موضع النظر ، فإن الله غني واجب بنفسه ، وقد عرف أن قيام الصفات به لا يلزم حدوثه ولا إمكانه ولا حاجته . وإن قول القائل بلزوم افتقاره إلى صفاته اللازمة بمنزلة قوله مفتقر إلى ذاته ، ومعلوم أنه غني بنفسه ، وأنه واجب الوجود بنفسه ، وأنه موجود بنفسه ، فتوهم حاجة نفسه إلى نفسه ، إن عني به أن ذاته لا تقوم إلا بذاته فهذا حق ، فإن الله غني عن العالمين وعن خلقه ، وهو غني بنفسه .

---

(١) حديث « يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى . . . » حديث صحيح . مسلم (١٩٩٤/٤) رقم ٥٥ من أبى ذر رضى الله عنه وهو حديث قدسى طويل أوله « يا عبادى أنى حرمت الظلم على نفسى . . » الحديث .

(٢) عنوان مضاف من المحقق .

لايقال إنه تعالى غني عن نفسه أو إن احتياجه إلى نفسه نقص :[1]

وأما إطلاق القول بأنه غني عن نفسه فهو باطل فإنه محتاج إلى نفسه ، وفي إطلاق كل منهما إيهام معنى فاسد ، ولا خالق إلا الله تعالى ، فإذا كان سبحانه عليمًا يحب العلم ، عفوًّا يحب العفو ، جميلًا يحب الجمال ، نظيفًا يحب النظافة ، طيبًا يحب الطيب ، وهو يحب المحسنين والمتقين والمقسطين ، وهو سبحانه الجامع لجميع الصفات المحبوبة ، والأسماء الحسنى والصفات العلى ، وهو يحب نفسه ويثني بنفسه على نفسه ، والخلق لا يحصون ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه فالعبد المؤمن يحب نفسه ، ويحب في الله من أحب الله وأحبه الله ، فالله سبحانه أولى بأن يحب نفسه ، ويحب في نفسه عباده المؤمنين ، ويبغض الكافرين ، ويرضى عن هؤلاء ويفرح بهم ، ويفرح بتوبة عبده التائب من أولئك ، ويمقت الكفار ويبغضهم ، ويحب حمد نفسه والثناء عليه ، كما قال النبي ﷺ للأسود بن سريع لما قال : إنني حمدت ربي بمحامد فقال : « إن ربك يحب الحمد »[2] وقال ﷺ : « لا أحد أحب إليه المدح من الله ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل الرسل ، ولا أحد أصبر على أذى من الله ، يجعلون له ولدًا وشريكًا وهو يعافيهم ويرزقهم »[3] فهو يفرح بما يحبه ، ويؤذيه ما يبغضه ، ويصبر على

---

(١) عنوان مضاف من المحقق .

(٢) حديث الأسود بن سريع « إن ربك يحب الحمد » حديث ضعيف .

أحمد (٣/ ٤٣٥) من رواية حسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد وعلي بن زيد ضعيف .

والطبراني (٢٨٥/١/١) رقم ٨٣٦ وفيه مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعن وكذا عنعنه الحسن وعنده أيضا بروايات أخرى مدارها على الحسن وقد عنعن . وكذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٥٣ باب من الشعر حكمة .

(٣) حديث « لا أجد أحب إليه المدح من الله » .

البخاري (١٤٦/٨) رقم ٤٦٣٤ من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وعنده أيضا (١٥٢/٨) رقم ٤٦٣٧ ومسلم (٢١١٤/٤) رقم ٣٤ والترمذي (٥٤٢/٥) رقم ٣٥٣٠ بلفظ لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه .

وعند مسلم أيضا (٢١١٤/٤) رقم ٣٥ بلفظ « ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه وليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل . والله أعلم .

ما يؤذيه ، وحبه ورضاه وفرحه وسخطه وصبره على ما يؤذيه كل ذلك من كماله وكل ذلك من صفاته وأفعاله ، وهو الذي خلق الخلائق وأفعالهم ، وهم لن يبلغوا ضره فيضروه ، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه . وإذا فرح ورضي بما يخلقه فهو الخالق ، وكل الذين يؤذون الله ورسوله هو الذي مكنهم وصبر على أذاهم بحكمته ، فلم يفتقر إلى غيره ولم يخرج شيء عن مشيئته ولم يفعل أحد ما لا يريد ، وهذا قول عامة القدرية ونهاية الكمال والعزة .

نصوص الكتاب والسنة مشتملة على تقديس الله وإثبات كل كمال له :[1]

وأما الإمكان[2] لو افتقر وجوده الى فرح غيره ، وأما الحدوث فيبنى على قيام الصفات فيلزم منه حدوثه[3] وقد ذكر في غير هذا الموضع أن ما سلكه الجهمية في نفي الصفات فمبناه على القياس الفاسد المحض وله شرح مذكور في غير هذا الموضع .

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجدها في غاية الإحكام والإتقان وأنها مشتملة على التقديس لله عن كل نقص ، والإثبات لكل كمال ، وأنه تعالى ليس له كمال ينتظر بحيث يكون قبله ناقصًا بل من الكمال أنه يفعل ما يفعله بعد أن لم يكن فاعله ، وأنه إذا كان كاملًا بذاته وصفاته وأفعاله لم يكن كاملًا بغيره ولا مفتقرًا إلى سواه ، بل هو الغني ونحن الفقراء ، وقال تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[4] وهو سبحانه في محبته ورضاه ومقته وسخطه وفرحه وأسفه وصبره وعفوه ورأفته له الكمال الذي لا تدركه الخلائق وفوق الكمال ، إذ كل كمال فمن كماله يستفاد ، وله الثناء الحسن الذي لا تحصيه العباد ، وإنما هو كما أثنى على نفسه ، له الغنى الذي لا يفتقر إلى سواه ، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾[5] .

---

(١)العنوان مضاف من المحقق .

(٢) لعله سقط من هنا كلمة : فيلزم التى هى جواب إما الإمكان . والمعنى أنه يلزم كونه ممكناً لا واجب الوجود أو افتقر وجوده إلى فرح غيره من الحوادث الممكنة وأما فرحه هو ورفعاه وغيرهما من صفاته فلا يلزم منها إمكانه .

(٣) أى من قيام الصفات بنفسه كالكلام والسمع والبصر فيلزم منه حدوثه بزعمهم وعبارته غير واضحه ولعلها خطأ في النسخ .

(٤) سورة آل عمران : الآية (١٨١) .

(٥) سورة مريم : الآيات (٩٣ : ٩٥) .

فهذا الأصل العظيم وهو مسألة خلقه وأمره وما يتصل به من صفاته وأفعاله من محبته ورضاه وفرحه بالمحبوب وبغضه وصبره على ما يؤذيه هي متعلقة بمسائل القدر ومسائل الشريعة . والمنهاج الذي هو المسؤول عنه ومسائل الصفات ومسائل الثواب والعقاب والوعد والوعيد ، وهذه الأصول الأربعة كلية جامعة وهي متعلقة به وبخلقه .

وهي في عمومها وشمولها وكشفها للشبهات تشبه مسألة الصفات الذاتية والفعلية ، ومسألة الذات والحقيقة والحد وما يتصل بذلك من مسائل الصفات والكلام فى حلول الحوادث ونفي الجسم وما في ذلك من تفصيل وتحقيق .

المعطلة – كذبوا بحق كثير جاء به الرسل :[1]

فإن المعطلة والملحدة في أسمائه وآياته كذبوا بحقٍّ كثير جاءت به الرسل بناء على ما اعتقدوه من نفي الجسم والعرض ونفي حلول الحوادث ونفي الحاجة .

وهذه الأشياء يصح نفيها باعتبار ولكن ثبوتها يصح باعتبار آخر ، فوقعوا في نفي الحق الذي لا ريب فيه الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وفطرت عليه الخلائق ودلت عليه الدلائل السمعية والعقلية والله أعلم[2] .

وكان الفراغ من طبع ومراجعة هذا الكتاب الطيب المبارك بإذن الله تعالى على يد عبده الفقير إلى عفوه « أبو حذيفة إبراهيم بن محمد » .

---

(١) العنوان مضاف من المحقق .

(٢) كان قديما تسمى الفرق التى خرجت من الإسلام بنفى أو تعطيل أو تشبيه أو إنكار في صفة من صفات الله أو اسم من أسمائه بأسماء مثل « القدرية – الجهمية – المرجئة – الباطنية . . . » والآن ليس لها نفس المسميات بل تؤمن بأقوال هذه الفرق الخارجة عن الحق ولكن نسبوا لأنفسهم أسماء براقة فلتكن على حذر أن تخدع وتؤمن بعقيدتهم المخالفة لعقيدة الكتاب والسنة .

تم الكتـــاب وربنـــا محمــــود ولـــه المكـــارم والعـــلا والجود
وعلى النبـــى محمـــد صلواتـــه مانـــاح قمـــرى وأورق عـــود

* * *

صدر حديثا :

الفُروقُ النَّفيسةُ

بَيْنَ صِفاتِ

النفسِ الطيبةِ والخبيثةِ

لِلإمام

ابنِ قيِّمِ الجوزيّةِ

وهي خاتمة كتابه «الروح»

انتقاه وعلَّق عليه

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

دار الصحابة للتراث بطنطا

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٨٩٦ / ١٩٩٠

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN

صدر حديثا :

فضائل التسمية

بأحمد ومحمد

للحافظ

الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير

الحسين بن بكير

(٣١٧هـ - ٣٨٨هـ)

حققه وعلق عليه

مجدي فتحي السيد

دار الصحابة للتراث بطنطا

للنشر - والتحقيق - والتوزيع

شارع المديرية - أمام محطة بنزين التعاون

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب ٤٧٧